

عالمية

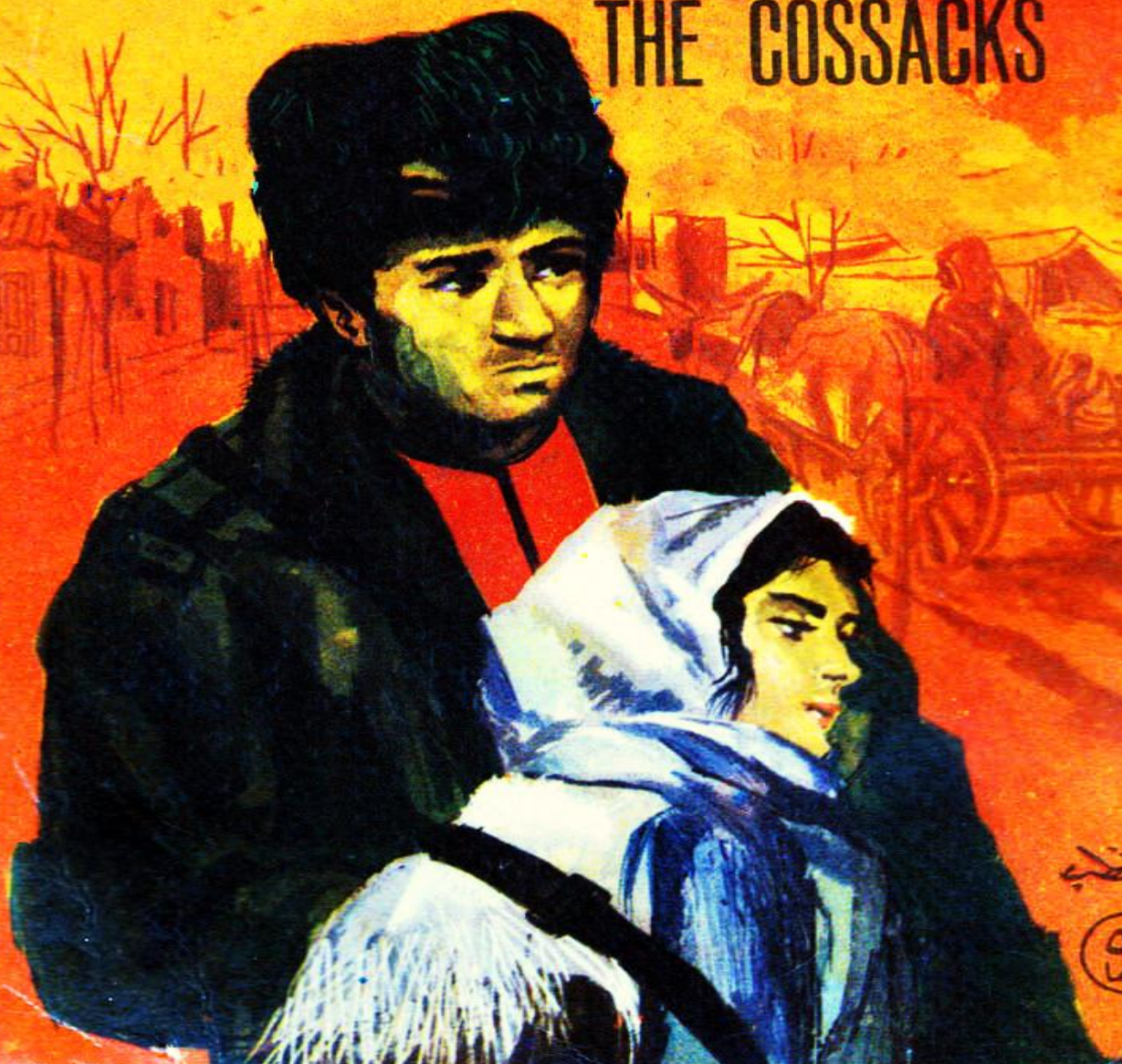


روايات

AMBY

القوزاق

THE COSSACKS



باز



روايات عالمية

العدد رقم ٢٠٠

القبوزات

القوزاق



للأستاذ الكبير ليو تولستوى

تعمير حسين القباز

الفصل الأول

الربيع

كان السكون يخيم على موسكو . وبين كل فترة طويلة وأخرى
كانت إحدى المركبات تمضي على الشوارع المكسوة بالجليد . وكانت
كل نافذة مظلمة ، ومصايح الشوارع مطفأة . أما أجراس الكنائس
فكانت هي وحدها التي ترسل دقاتها المتباعدة مؤذنة بفجر يوم
جديد . الشوارع مهجورة . . وبين الحين والآخر كانت إحدى
الزحافات تشق طريقها على الشارع المكسوة بالجليد لتمضي إلى سرع
آخر ، بينما يغالب سائقها النوم في انتظار أحد الركاب ، وعمرت
ضيدة عجوز في طريقها إلى الكنيسة . وفي داخل الكنيسة كانت
الابقونات الملهمة تعكس الأضواء الحمراء الخافتة المرسله من
الشمعدانات . كان العمال قد بدأوا يتهضون بعد ليل شتاء طويل
لنصرفوا إلى أعمالهم .

ولكن السادة المترفين كانوا . . كمهدمهم في كل ليلة . .
مستيقظين .

كانت أضواء حانة شيفالير - المخالفة للقانون في تلك الساعة -
تلوح من وراء فرجة في خصاص الباندة . وأمام الحانة كانت تقف
زحافة خاصة ، وبعض المركبات ، بينما وقف سائقوها وظهر بعضهم
إلى ظهور بعضهم الآخر التماسا للدفع . وكان ثمة مركبة بربرد

البنكر ابنا . اما حارس البوابة المدثر الى عينيه من قرط الشعور
بالبرد ، لقد وقف محتميا في راكن من البناء .

وقال لنفسه تابع مرهق كان ينتظر في الردهة :

- مامعنى كل هذه الثرثرة . ولماذا لا تطول ثرثرتهم الا
في نوبتى ؟ .

وكانت اصوات الشبان الثلاثة تسمع وهم يتناولون عشاءهم
فى الغرفة المجاورة . وكانت بقايا الطعام والشراب متناثرة على
مائدتهم . وأحد هؤلاء الثلاثة كان نحيلًا ضيق الصدر قصير
الجسم جالسا يرنو الى صديقه الموشك على الرحيل بعينين مجهدتين
تتمنان عن الاشفاق . وكان الشانى طويل القامة يداعب بأصابعه
سلسلة مفاتيحه . اما الثالث الموشك على الرحيل ، فكان مرتديا
مسترة جديدة من فراء الغنم ، كما كان يروح ويجيء فى جوانب
الغرفة ويكسر بين أصابعه لوزة بين الحين والآخر . وكان متعلق
النظرات ، متوهج الوجه ، ترقرف ابتسامة غامضة على شفثيه اما
جديته فكان حارا مصحوبا بحركات من يديه لتصور المعانى التى
تعجز الكلمات عن التعبير عنها .

كان يقول فى تلك اللحظة :

- اننى الآن أستطيع أن أتحدث بصراحة ، لا دفاعا عن نفسى ،
ولكن لانكما تفهماننى كما أفهم نفسى ، ولا تنظران الى الموضوع من
الزاوية التى ينظر اليه منها الدهماء .

ثم استدار الى الشاب القصير النحيل الذى كان ينظر اليه
باشفاق وأردفه قائلا :

- تقول اننى اسات اليها بقطعي علاقتى بها ؟ .

إجاب الشاب القصير النحيل بمزيد من الشعور بالأرهاق
- نعم . . بكل تأكيد .

- اننى اعرف لماذا تقول هذا . ان من رأيك أن الانسان يجب



أن يشعر بالسعادة حين يجد امرأة تحبه كما يشعر بها حين يبادل
امرأة ما الحب . ولكن شتان بين الأمرين .

— يكفي يا ولدى ان يكون الانسان محبوبا .

— لا . . . لا بد ان يكون الحب متبادلا . . ان الحب من طرف
واحد تعاسة ، نعم . . ان من سوء حظ الانسان أن تحبه اميرة
لا يستطيع أن يحبها بدوره . . لأنه سيكون عاجزا عن أن يمنحها
من نفسه شيئا .
ثم لوح بلذاعيه واستطرد قائلا:

— لو كانت الامور تحدث بطريقة منطقية لاستراح الناس . .
أشعر كاني اسرق حب هذه الفتاة ، وحتى أنت ترى هذا . لا تنكر . .
ولكن معظم الاحداث تقع على غير ما يشتهي المرء . . نعم . . اننى
ومع ذلك . . فهل تعلم أن هذه الحماسة الفرامية هي الوحيدة
— بين جميع حماقاتى — التى لا اشعر بالندم من ارتكابها . . اننى
لم احاول منذ اللحظة الاولى أن اخذعها . لقد ظننت فى اول الامر
أنى احبها ، ولكننى اكتشفت بعد ذلك اننى خدعت نفسى ، واننى
لا أستطيع أن استمر فى هذا اللون من الحب ، ولكنها عاندت واصرت
هلى ان نستمر فى حبنا . . فهل ثمة لوم على لاننى عجزت عن حبها؟
ماذا كان فى وسعى ان افعل ؟ .

فقال صديقه القصير النحيل وهو يشعل سيجارة حتى يطرد
النوم عن عينيه:

— حسنا . . لقد انتهى كل شيء بينكما الآن . وهذا هو المهم .
انك لم تحب فى حياتك ولا تعرف ما هو الحب .

فأمسك الشاب الموشك على الرحيل برأسه بين يديه وحاول
أن يقول شيئا .
وبعد فترة صمت ، قال:

— لم احب فى حياتى ؟ نعم . . هذه هي الحقيقة . . اننى لم
احب فى حياتى . ولكننى اتمنى أن افعل هذا . وليست هنالك

أمنية اعظم من هذه الأمنية . وعرة أخرى أسأل .. هل الحب موجود حقاً ؟ ان هناك شيئاً ناقصاً في كل عاطفة حب بين رجل وامرأة .. وهذا الشيء الناقص هو الذي يجعل كل حب وهما .. ولكن انتهى كل شيء كما تقول .. وأشعر الآن اننى مقبل على حياة جديدة .

وعندئذ قال الشاب الطويل الراقد على المتكا يداعيب سلسلة مفاتيحه :

- لكى نملأها مرة أخرى بالمشكلات .

ولكن الشاب المسافر تجاهله وقال :

- اتنى حزين وسعيد لهذه الرحلة .. وأنا أعرف لماذا أنا سعيدة أما لماذا أنا حزين ، فلا أعرف .

وراح يتحدث لنفسه وكانما لا يوجد فى الغرفة سواه .. وفجأة فتح الباب ووقف فيه تابع شاب فى سنرة من فراء الغنم ، ومطرف صوفى حول عنقه . وقال للشباب المسافر :

- أولفين ديمبرى اندريفتش .. ان سائق الرحافة لم يعد يطبق الانتظار . والجياد واقفة منذ الساعة الحادية عشرة مساءً ، وهى الآن تقترب من الرابعة .

ونظر أولفين - الشاب المسافر - الى تابعه فانبوشا . ثم قال :

- نعم يا فانبوشا .. لقد حانت لحظة الوداع .

وتبادل الشبان الثلاثة القبلات . وشرب أولنين لثمالة كأسه ، ثم صافح صديقه القصير التحيل بحرارة .. وقال له وهو مضطرم الوجه :

- لسوف أكون صريحاً فى حديثى الآن ، وهذه الصراحة نابعة من حى لك . انك تحبها اليس كذلك ! لقد كنت اعتقد أنك تحبها من أعماق قلبك فهل أنا على صواب ؟ .

لقال الشاب القصير النحيل بصوت هادئ:!

- نعم

- اذن أرجو ان تسعد بها وتسعدتها .

ودخل خادم الحانة وقال بصوت يفلب عليه النعاس :

- معذرة أيها السادة . لقد حان وقت اطفاء الانوار .

ثم استدار الى الشاب الطويل . . . واردف قائلا :

- هل اقدم لك ياسيدي قائمة الحساب ؟!

- نعم . . اكم !!

- ستة وعشرين روبلا .

وبينما كان الشاب الطويل يدفع الحساب ؛ تخرج المسافر
وصديقه القصير النحيل الى الردهة . . وكان هذا يقول :

- وداعا يا صديقي العزيز !

وظفرت الدموع الى عيون الصديقين . واستدار اولئين الى
الشاب الطويل حين لحق بهما وقال :

- لقد دلعت الحساب ! حسنا . . أرجو ان تضيفه الى قائمة
مضروقاتي عندما ترسل الدفعة الاولى من ايرادى الى .

- سمعا وطاعة . . آه . . لشك ما أحسبك على هذه الرحلة
يا اولئين .

وجلس اولئين فى الزحافة . . وانسح بجانبه مكانا وقال
للشاب الطويل :

- اذن لماذا لانانى معى ؟! هلم اركبني .

ولكن هذا تجاهل الدعوة وقال :

- ليكن الله معك يا اولئين . . وداعا .

وفرقع السائق بسوطه .. وانطلقت الزحافة بصريها على
جليد الشارع ..

وقال احد الصديقين للآخر:

- انه شاب لطيف .. اولئين! ولكن ما اغرب قيامه بهذه الرحلة
الى القوقاز! لماذا القوقاز بالدات؟ ومتطوعا فى الجيش المرابط
هناك ايضا! اننى شخصيا لا استطيع ان افعل هكذا مهما يكن
التمن ..

وبعد برهة صمت، اردف قائلا:

- هل ستتعنى فى النادى؟ ..

- نعم ..

وشعر المسافر اولئين بالدفء .. بل بالحرارة المنبعثة من
سترنه المصنوعة من فراء الغنم .. وكان جالسا فى ارضية الزحافة،
وقد فتح ازرار سترنه، بينما اخذت الجياد الثلاثة الغزيرة الشعن
تجر سيقانها من شارع مظلم الى آخر .. شوارع لم يرها اولئين
من قبل .. ولكنها كما خيل اليه، لا بد من ان يمر بها كل مسافر
فى طريقه الى خارج المدينة فى رحلة طويلة .. وكان الظلام المحيط
به مطبقا ومثيرا للانقباض .. اما النفس فكانت زاخرة بالذكريات
ذكريات الحب .. والندم .. والشعور بالقدرة على كبت
الدموع ..

الفصل الثاني

الرملة

ظل أولئين يكرر القول لنفسه :

« انى احبهم .. احبهم جدا .. انهم اصدقاء طيبون »

ولكن .. لماذا كان يرفض ان يبكى . ومن هم هؤلاء الاصدقاء الطيبون ؟ انه لم يكن يعرف على وجهه اليقين . وكان بين الحين والآخر يتلفت حوله وينظر الى بعض المنازل ويتساءل لماذا شيدت على هذا الطراز .. واحيانا كان يخامره العجب والتساؤل لماذا يجلس السائق وفانوسا قريبين منه ، ولماذا يتأرجح فى هذه الزحافة فوق هذه الشوارع الجليدية .. ومرة اخرى كان يقول لنفسه :

« اصدقاء من الدرجة الاولى .. ما أشد حبى لهم »

وخيل اليه انه مخمور .. ولكن لا .. حقا لقد شرب بضغ كؤوس من الخمر .. الا ان احساسه هذا الجديد لم يكن نابعا من الخمر وانما من شىء آخر . لقد تذكر كلمات الوداع والمصافحة .. والنظرات المبللة بالدموع ، والضئمت ، انهم جميعا يحبونه ، حتى الذين كانوا يكرهونه .. تماما كما يحدث للانسان المحتضر عند ساعة الاعتراف .. ومن يدري ، فلعله لن يعود من رحلته هذه ابدا ..

ولكنه لى أعماق نفسه كان يشعر ان احساساته هذه لم تكن تابعة من الحب لاصدقائه ومعارفه ، ولا من الحب لهذه الفتاة « التي لم يحبها قط » وانما من الحب لنفسه .. الحب للحياة الجديدة المشرف عليها .. الحب لكل ما هو خير فى نفسه ، ولم يعد فى تلك النفس شىء غير الخير .. وان هذا الشعور ليرغمه على اطلاق الدموع الحبيسة فى عينيه .

كان اولتين شابا ترك دراسته الجامعية قبل اتمامها ، ثم اشتغل موظفا فى هذه الادارة الحكومية او تلك . وقبل ان يبلغ الرابعة والعشرين من عمره كان قد ضيع نصف ثروته الطائلة . وعلى الحيلة اكان واحدا من هؤلاء المعروفين فى موسكو باسم « الطبقة الراقية » .

كان منذ الثامنة عشرة من عمره متحررا من كل العيود بعد ان مات والداه تاركين له ثروة كبيرة . وهكذا انطلق فى الحياة يفعل ما يشتهى بلا قيود مادية او اخلاقية .. بلا قيود عائلية او اجتماعية .. بلا ايمان بالحب .. لم يكن يعرف شيئا سمة الحب بين رجل وامرأة .. وانما هى الفريضة التى تحكم هذه العلاقة فقط . ومع هذا كان يشعر بالحرج والارتباك امام كل فتاة وسيدة جميلة براها لأول مرة . ورغم احتقار الألقاب وذوى المراكز الكبيرة ، الا انه كان يشعر بالزهو كلما تلقى دعوة من عظيم او امير احضور احدى الحفلات . وكان اذا شعر ان مغامرة ما او اى حدث سيؤدى الى تقييد حريته فى التصرف ، اسرع بالتخلص من الموقف قبل ان يتمادى فيه .. وهكذا كان ينطلق كالطائر الحر فى المجتمع الروسى ، الا ان هذا الانطلاق كان سببا لضياح نصف ثروته ، ووقوعه فى كثير من المشكلات الناتجة عن علاقات بالنساء مما ادى به فى النهاية الى مشكلة خطيرة مع احدى فتيات المجتمع الروسى ، ولم يكن هناك من سبيل للخروج من هذه المشكلة الا القيام برحلة طويلة تهذا خلالها صيحات الاستنكار ويسترد بعدها مكانته فى المجتمع ، وحتى بدء هذه الرحلة كان يشعر انه عاش حياته فى سلسلة من الاخطار وانه لم يستطع ان يصنع لنفسه هدفا فى الحياة .. ولكنه ، مع بدء هذه الرحلة ، شعر انه سيبدأ

حياة جديدة ، بلا أخطار ، وبلا نزوات وبلا ندم .. وانما حياة لها هدف .. ولها طابعها الخاص من المعبادة .

وهكذا كان احساس اولئين فى اول صباح اشرق عليه وهو ماض فى رحلته الطويلة .. انه يترك وراءه ذكريات مرحلة من حياة مليئة بالأخطار والنزوات ، ويبسئ فى خياله قصورا فى الهواء ..

ولما تركت الزحافة المدينة وراءها واندفعت فى طريق زراعى تمتد على جانبيه اراض واسعة مكسوة بالجليد ، شعر اولئين بالعبطة والرضى ، ودثر نفسه جيدا بسترته وبنطاه صوفى ، ورفد فى قاع الزحافة لينام . ولكن احتياج مشاعره جعل النوم عسيرا عليه .. وعادت الذكريات تنسرحم فى ذهنه . ذكريات الأصدقاء .. والسهرات .. والديون المتراكمة عليه .. والحب الأخير .. آه .. لقد ظن يوما انه رفع اسيرا لحب هذه الفتاة الثرية .. ولكنه صحا ذات يوم واذا هو متحرر من هذا الحب .. واذا هو سعيد .. ان قيود الحب لا تعترق كثيرا عن قيود السجن .. وما اسعد الانسان الذى يستطيع ان يحطمها وينجو منها .. ومع ان هذه الفتاة كانت على استعداد لان تتزوجه رغم ديونه ، ورغم ان الزواج منها كان سحرره من قيود هذه الديون ، الا انه فضل قيد الدين على قيد الزواج من فتاة لا يحبها . ان قيد الدين يمكن ان يتحرر منه بعد عام من الحياة المنقشة الخالية من السهرات الحمراء ومن الاسراف فى شرب الخمر ، ومن البعد عن موائد المسر .. اما قيد الزواج من فتاة لا يحبها فكيف ومتى يمكنه التحرر منه ؟

قرر ان يعيش عاما بعيدا عن اصدقاء المجتمع .. ودبر له امر هذه الرحلة الى القوقاز جماعة من اصدقائه .. بينهم شاب من حاشية القيصر نفسه . وهكذا قبل تطوعه من الحامية المرابطة فى القوقاز . ومن بدرى .. فلعله يقوم بأعمال بطولية تجعله جديرا بوسام وولفت كولونيل فى الحرس القيصرى .

ووصل اولئين مع الضحى الى المخفر الثالث فى الطريق ، فشرب فيه بضعة اقداح من الشاي وساعد فانبوشا فى اعادة وضع الحفائب والحاجيات تم الاستقرار بينما بحسب المسافة التى

تقطعها ؟ والمسافات الباقية حتى نهاية الرحلة .. المسافة الى كل مخفر .. والمسافة الى كل مدينة ، والاماكن التي سيتناول فيها افطاره او غداءه او عشاءه ، والحانات التي سيبيت فيها ليلته .. وفي الوقت نفسه كان يحسب ابراده من املاكه الواسعة في ذلك العام .. وكم سيحتاج من مبالغ لتسديد ديونه ، وكم سيحتاج للحياة في القوفاز ، وكم سيبقى بعد ذلك !.

وتنهى في ازلياح عندما ادرك انه يستطيع تسديد ديونه كلها في ثمانية اشهر ، وان يتسلم في كل شهرين الف روبل . وان يتبقى له بعد ذلك اكثر من عشرة آلاف روبل يبدأ بها مرحلة جديدة من الحياة .

وتطلع بخياله الى ارض القوفاز .. انه لم يزرها من قبل .. ولكنه سمع الكثير عن شجاعة رجالها ، وعن جمال نساها ، وعن لخشونة الحياة فيها .. وقرر في نفسه ان يحيا فيها حياة خالية من كل خطأ .. ان الخطأ في بلاد كهذه قد يكلفه حياته .. وهو افى هذه السن احرص ما يكون على هذه الحياة !.

وامتد به الخيال الى كوخ جميل ، والى زوجة قوقازية حسنة موفورة الشباب والقوة .. تنتظره على مدخل الكوخ حين يعود اليها في المساء مغبرا ، مكلا ، ملجدا لينلقن قلاتها ، وضاماتها وليقبض معها في ضوء القمر امسية جميلة .

ومن يدري .. ففعله يعود بها انى موسكو ليعلمها اللغات وآداب المجتمع ، ويجعل منها كوكبا لامعا في سماء المجتمع الروسي يمسكو .

وفي صباح اليوم التالي ، تكرر هذا كله مرة اخرى .. المناظر .. والمخاطر ، والاراضى الشاسعة على الجانبين .. والاستراحات .. وشرب الشاي ، والدكريات .. والامال !.

ويقل الليل .. ويقلب النوم ! ونسبح على امره .. ليعود مرة اخرى مستيقظا في صباح جديد !.

كان أولئين يشعر أنه كلما ازداد بعدا عن وسط روسيا، ازدادت
ذكرياته القديمة بعدا عن ذهنه ، وكلما اقترب من ارض القوقاز ،
ازداد احساسا بالبهجة والامل . وكثيرا ما خطرت بباله فكرة
الاستقرار نهائيا فى القوقاز وعدم العودة الى موسكو اطلاقا .
وكان يقول لنفسه فى هذا الشأن :

- ان الناس هنا لا يعرفون عنى شيئا . ليس بينهم احد سبق
له الذهاب الى موسكو ، او يحتمل ان يذهب اليها .

وعندئذ كان بخامره شعور بهيج جديد بالتخلص من ماضيه
كله . . من ديونه . . واصدقائه المتنعمين بشرويه . . ومن نفاق
المجتمع . . ومن يدري . . فلعل هذا ما سوف يحدث ! هكذا كان
يحدث نفسه .

ولما وصل الى القوقاز السفلى ، استبدل بالزحافة مركبة بريدا
حتى اذا ترك مدينة سناتروبول وراه ، اشتدت حرارة الجو مما
يجعله يخلع سترته الوبرية - آه . . انه يعيش فى جو ربيعى .
ربيعى ناضر جميل عاطر الهواء بالشذى القواح من الزهور .

وفى المساء كان الحراس يحذرونهم من الخروج الى ما وراء
هضاب القوقاز ، حتى لا يقعوا فى ايدى عماسيات قطاع الطرق من
قبائل التتار . واثارت هذه التحذيرات فى قلب فانبوشا الخوف
والقلق ، وجعلته يتام ويندبته المحسوة بالبارود بجواره . اما
أولئين ، فكان يزداد احساسا بالبهجة والرضى . وفى احدئ
المخافر ، قال لهم الحارس ان جريمة قتل رهينة وقعت فى الطريق
الجبلى خارج المناطق الاهلة . . ولما استأنفوا السفر فى اليوم
التالى ، لاحظ اولئين ان الرجال جميعا كانوا يسرون مسلحين
بالبنادق والخناجر والسيوف ، وقال لنفسه « الآن وصلنا الى
برارى القوقاز » وراح يحدق فى الافق البعيد آملا ان يرى فى اية
لحظة جبال القوقاز المتوجة بالثلوج التى طالما سمع عنها . وفى ذات
مساء اشار سائق المركبة الى قمم وراء السحب ، فنظر اولئين اليها
بلهفة ولكنه رآى السماء مليدة بالغيوم التى اخفت وراءها الجبال .
ومن لم لم يستطع الا ان يرى افقا رماديا تتخلله سحائب بيضاء

وعبثا حاول أن يرى شيئا من الجبال فى تلك الركام الرمادية . .
وخيل اليه ان الوان الجبال التى طالما سمع بها عن جبال القوقاز
المتوجة بالثلوج ليست الا شيئا من صنع الخيال ، مثل موسيقى
بإخ ، ومثل الحب ، وكلاهما لا يؤمن به .

ولكنه حين استيقظ مبكرا فى صباح اليوم التالى بأحد
المخافر ، فوجيء وهو يلقى نظرة عابرة الى اليمين ، برؤية قمم هائلة
فاصعة البياض قريبة منه ، وكأنها لا تبعد عنه غير بضعة خطوات . .
وكان الجو صحوا والهواء منعشا والرؤيا واضحة . . وبدت له هذه
القمم الناصعة كأنها عند تناول يديه برغم أنها فى الواقع كانت
تبعد عنه مئات ومئات من الأميال . ولما أدرك مدى بعدها عنه ؟
وميلغ ضخامة هذه الجبال ، خشى ان يكون الأمر كله حلما أو سرايا
. . ومن ثم راح يؤكد لنفسه انه يقظان ، وان ما يرى ليس الا
حقيقة لا سبيل الى انكارها .

وسأل سائق المركبة مشيرا اليها :

— ما هذا ؟ ما هذا ؟ .

فقال السائق بغير اهتمام ؟

— عجا ! انها الجبال .

وقال التابع فانيوشا :

— لقد ظلت انظر اليها مدة طويلة . . ليست رائعة ! انهم لن
يصدقونى حين اعود الى موسكو واحدهم عنها .

واستمرت المركبة فى طريقها حتى اقتربت من نهر تيريك . .
ورأى أولنين رجلا ونساء جميلات من قبائل القوقاز . . وقال
لنفسه فى النهاية !

— هانذا امضى فى برارى القوقاز غير خائف . . ولماذا اخاف
ومعى بندقيتى ، وشيابى . . وقولى . . وهذه الجبال الشامخة !

الفصل الثالث

القوزاق

كانت قرى القوزاق العليا تنائر على ضفة نهر تيريك اليسرى
بمسافة خمسين ميلا طويلا ، وكان نهر بتريك الذى يفصل بين
بائل القوزاق ، وبين قبائل التتر الجبلية ينطلق فى مجرى عريض
حف به من الجانبين نباتات الغاب المالبة ، وأشجار البلوط والحوار
رادغال النباتات المتسلقة ، اما الضفة اليمنى ، فكانت تنائر عليها
وعلى الهضاب والتلال الممتدة منها الى الجبال قبائل التتر
الروسية . اما قرى القوزاق ، فكانت تقع بعيدا عن الضفة اليسرى
بمسافة نصف ميل تقريبا ، وبين كل قرية وأخرى نحو ستة أو
سبعة اميال . وعلى طول هذه الضفة اليسرى ، كانت تقوم مخافر
الحراس القوزاقين الذين يؤدون مهمة طرد عصابت التتر التى
اعتادت ان تفر بين الحين والآخر على قرى القوزاق . اما فى
الشمال فكانت تبدأ صحراء نوجاي أو هضبة مزدوك التى تمتد الى
مناطق التركمان . واما فى ناحية الجنوب ، بعد نهر تيريك ، فكان
يمتد نهر شيسكتايا ، ثم سلسلة جبال كوشكاليكوف . ثم الجبال
السوداء ، ثم القمم المكسوة بالثلوج ، التى يراها الناس فقط ، دون
ان يصلوا اليها .

والقوزاقى قد يحترم ويحب مدوه الجبلى ، ولكنه يكره الجنود

الروصيين المراكبيين فى بلاده ، لانهم يرمزون للضفدع والاحتلال والقهر والتسلط وتقييد حريته ، بل ان القوزاقى يعتبر الفلاح الروسى فريبا عنه ، دخيلا عليه ، متظفلا على ارضه . وقبائل القوزاق ترى ان افضل الاسلحة هى التى يشترونها من قبائل التتر الجبلية ، او يظفرون بها منهم فى المناوشات الحربية . وكذلك كانوا يعتبرون ان احسن الجياد هى جياد تلك القبائل التى يحصلون عليها بالثمن او بالسرقة . والشباب القوزاقى يفخر ويزهو على اخوانه حين يتقن الحديث باللغة التترية . وكذلك رجال التتر لم يكونوا يحترمون احدا ولا يحفلون باحد الا بالقبائل القوزاقية .

والقوزاقى يشغل وقته اما جنديا فى احد مخافر الحراسة ، او فى الصيد داخل الغابات او فى صيد السمك . . او فى الحملات الحربية وهو قلما يعمل شيئا فى القرية . . انه لا يذهب الى قريته الا بين الحين والآخر . . وحين يذهب اليها ، فانما ليقضى فترة من الراحة والاستجمام اذا كان متزوجا ، وفترة من الحب والفرل مع بنات القرية ان كان امزج . . والقوزاق يصنعون خمرهم بايديهم من كروم العنب التى يزرعونها بكثرة . وهم لا يشربونها بادمان ، ولا الى حد السكر . والقوزاقى ينظر الى المرأة كأنها مخلوق ملك يديه . . ولكن الحقيقة هى ان المرأة تكاد تكون كل شىء فى حياة الرجل القوزاقى . . انها هى التى تشرف على شئون البيت وتربية الاولاد ، وهى التى تقوم بالعمل فى المزارع والحقول ، وهى على الجملة اقوى احتمالا من الرجل ، والاكى ، واكثر اتزانا ، واقدر على العمل .

والرجل القوزاقى يرتدى قلنسوة وصديرية فوقها سترة من الوبو شتاء ، وسراويل خفيفة . اما المرأة ، فانها تعصبي واسها بمنديل زاهى اللون يصل الى عينيها ، وتخفى نصف جسمها الاعلى بصديرية محكمة تبرز جمال الصدر ، وتحتها جلابب طويل من الحرير الطبيعى الملون .

ويعيش القوزاقى على محصول ارضهم من الكروم والاعناب والفواكه والبطيخ والخضروات والسمك وصيد البر والاذرة والبقول .

وقرية نوفومسك التي نقره ان يذهب اليها اولئنين ، تقع على
ميلين ونصف ميل من ضفة نهر تيريك . . وهذه المسافة التي
تفصلها عن النهر عبارة عن غابات كثيفة الأشجار ، ملتوية الممرات
والدروب ، لا يستطيع السير فيها الا الرجل المدرب عليها ، وعلى
إجانب الطريق الرئيسي في الغابة تجري جدول مائي عذب ، وتمتد
على ضفته الأخرى بساتين الكروم حتى تصل الى حافة صحراء
لوجاي . اما القرية فهي محاطة بالحقول وبالاراضي الجرداء
وبالنباتات البرية المختلفة ، ويمكن الوصول اليها من ناحيتين ، لكل
ناحية بوابة كبيرة عالية يحرسها مدفع من طراز قديم ظفر به
القوزاق في احدى المعارك الحربية القديمة . ويقوم على حراسة
كل بوابة قوزاق في ملابس عسكرية كاملة . ولكن الحارس كثيرا
ما يتركها ليحضى الى الغابة لصيد الحيوانات البرية او السمك .
وتوجد على البوابة الرئيسية لوحة بيضاء مكتوب عليها هذه الارقام
عدد المنازل ٢٦٦ وعدد السكان الذكور ٨٩٧ وعدد السكان الاناث
١٠١٤ . وتقوم اكواخ القرية القوزاقية على دعائم ترتفع عن الارض
نحو قدمين ونصف قدم . وهي مبنية من خشب السنديان
ومسقوفة ببراعة بالغاب المنين . ويتكون كل كوخ من غرفة او
الثنين ، واحيانا من ثلاث . . والفرفة المخصصة للفرن تكون
ارضيتها من البلاط الذي يتحمل الحرارة ، وتقع بين كل مجموعة
من الاكواخ حارة او زقاق او شارع ضيق . كما تقوم حولها اشجار
تظللها وتشيح في اجوائها شذى الازهار . وتكثر في القرية نباتات
عباد الشمس الذي ينسلى ببدوره (١) شباب القرية وفي الميدان
الفسح في وسط القرية تقوم ثلاثة حوائت لبيع بدور عباد
الشمس والحلوى وبعض البقول . اما بيت الكولونيل قائد الحامية
لهو اكبر البيوت ، ويقوم وراء عدد من الاشجار العالية وله نوافذ
وشرفات تؤدي الى حديقة واسعة . وتدور شوارع القرية في ايام
الاسبوع خالية ، لان سكانها ينصرفون عنها الى اعمالهم المختلفة .
لدى الحقول او الغابات او مراكز الحراسة . ولا يبقى في القرية الا
المحائز والاطفال والمرضى .

(١) بدور عباد الشمس تشبه الاب الذي ينسلى به شباننا واطفاننا

ولقي أمسية من الأمسيات المألوفة في القوزاق ، عندما بدأت الشمس تختفي وراء الجبال وترسل أشعتها النارية الحمراء إلى السماء وتلون السحب بالألوان القرمزية المتدرجة ، أخذ سكان القرية يهرعون في العسوة إليها قبل أن يداهمم الليل المريع بالخوف في سميت الوحوش البرية والمضابات الجبلية . وهكذا لآح كان القرية تستيقظ من سبات الأصيل لتستقبل العائدين من الحقول والغابات . النساء يسرن حاملات المحاصيل ، والفتيات يقدن المركبات التي تجرها الثيران والأبقار ، والرجال يمضون وإجلين أو على متون الجبال .. وتمتلىء شوارع القرية بالرجال والنساء والمركبات والأبقار وأسراب الناموس والزنابير ، ويمتلىء الجو بالأحاديث والضحكات ، وبين الحين والآخر يرى جندي قوزاق يمشى بجواده إلى نافذة كوخ فيطرق عليه ، فإذا أطلت منه إحدى الفتيات ، راح يتبادل معها همسات الفزل ويتواعد معها على اللقاء ليلاً .

ويتنشر الأطفال والظمان يصرخون ويلعبون « النحلة » وترتفع أصوات الرجال بالدعابات ، وتتصاعد من مداخن الأكواخ سحب الدخان التي تنم عن الأفران الموقدة لأعداد طعام العشاء .

وكانت العجوز أولتيكا زوجة الضابط المتطوع بالتدريس في مدرسة الحامية العسكرية ، قد خرجت من كوخها ، كغيرها من النساء الميجائز ، لرقب ابنتها الشاببة الحسنة ماريانكا وهي تقود المركبة من الحقول إلى ساحة الكوخ . وما كادت الجاموسة الضخمة تقترب من الكوخ حتى اندفعت إلى الساحة وهي تخور بسرور حين وات سيدتها العجوز .. وفيما كانت ماريانكا تعمل على فصل الجاموسة والبقرة من المركبتين ، وتدفع بهما إلى المربط ، هتفت بها أمها قائلة :

- اخلعي حذاءك يا ماريانكا حتى لا يبلى بمرصة من كثرة الاستعمال .

ولكن ماريانكا لم تفضب ، وإنما ابتسمت وأسهرت إلى المربط بحاملة أوعية اللبن لتحلب الجاموسة والبقرة . وبعد أن فرغت

أصبحت الى الفرن .. ووقفت الأم بباب الكوخ ترتقب الحياة وهي
تنبض بقوة في انحاء القرية قبل ان تهدأ مرة اخرى عند انسداد
الليل .

ومن الكوخ المقابل عبر الشارع اقبلت سيده طويلة القامة قوية
البنية الى العجوز اولتيكا تلمس منها عود نقاب .. وقد قالت :

- ظاب مازك يا صديقتي .. هل فرغت من عملك ؟ .

- ان ماريانكا تضرم النار في الفرن .

ثم اردفت قائلة وهي تشعر بالزهو لانها ستسدي صنيعها
لجارتها :

- هل تريدن عود نقاب يا صديقتي ؟ .

ودخلت المرأتان الكوخ ، وفتحتا اولتيكا علبة النقاب بيدها
مترعدة ، وقدمت لجارتها عودين فقط ، لان النقاب كان من السلع
النادرة التي يعسر الحصول عليها في براري القوزاق . وبدا ان
الجارة لم تحضر للنقاب فقط ، وانما لتشرلر قليلا مع جارتها العجوز
اولتيكا . ومن ثم جلست في استرخاء وقالت :

- الا يزال زوجك العزيز غائبا في المدرسة ؟ .

فقالت اولتيكا زوجة المدرس :

- نعم .. انه لا يزال يعلم الشباب .. وقد كتب يقول انه
سيحضر في الاجازة .

- انه رجل مثقف جدا .. وهو يقوم بعمل مهم يا صديقتي ..
ليس كذلك ؟ .

- نعم .. حقا .

- ان ابني لبوكا لا يزال حارسا في المخفر .. وهم لا يسمحون
له بالعودة الى البيت هذه الايام .

ولاح بوضوح ان الجارة جاءت لتدبر الحديث وتركزه حول

أبنتها ليوكا الذى التحق منذ عهد قريب بالجيش ، وأصبح أحد
حراس المخافر فى القوقاز .. وكانت أمه ترفيب فى زواجه من
ماريانكا ابنة جارها اولتيكا .

وقالت اولتيكا :

— اذن فهو لا يزال فى المخفر ؟

— نعم يا صديقتى .. انه لم يعد منذ الاجازة الماضية .. وقد
أرسلت اليه اول أمس مع صديقه فوشكين صديريه وقميصا .
وقد قال لى فوشكين ان ليوكا بخير ، وان الضباط يحبونه ، وقال
ايضا انهم فى المخفر يتربصون للتر ، وان ابنى سعيد بعمله جدا .
فقالت اولتيكا زوجة المدرس :

— آه .. شكرا لله على هذا .. لاشك ان ابنك جدير بلقب

« الخفاف » .. وهو اللقب الذى اطلقه عليه اهل القرية .

وكان اهل القرية قد أطلقوا هذا اللقب على ليوكا عندما
استطاع ان « يخطف » غلاما من النهر قبل ان يفرق . وكانت
اولتيكا تهدف بحديثها عن ليوكا الى ارضاء أمه .

وقالت الام بصوت ينم عن الرضى :

— اننى احمد الله فى كل يوم لانه اعطانى ابنا طيبا . انه شاب
ممتاز والجميع يحبونه ويشنون عليه .. وان املى الوحيد قبل
الموت ان اراه متزوجا من فتاة جميلة بارعة .

قردت العجوز اولتيكا فى صوت ينم عن المكر وهى تعيد
ياصابعها المعقدة الفطاء الى علبة الثقاب :

— حسنا .. اليس فى القرية بنات كثيرات ؟

فأومات ام ليوكا برأسها وقالت :

— نعم .. كثيرات يا صديقتى .. كثيرات . وهاهى ذى ابنتك



مارياتكا .. انها عذراء جميلة ، وان الانسان ليحتاج الى سنوات لكي يجد من هي اجمل منها .

وكانت زوجة المدرس تعرف الهدف الذي تسعى اليه ام ليوكا .
ورغم موافقتها هي على هذا الهدف ، الا انها رأت ان تمنع قليلا ،
لانها ، اولاً ، زوجة مدرس ميسور الحال ، بينما ليوكا ابن قوزاقى
من العامة ، ومتوفى ايضاً ولانها ، ثانية ، لم تكن على استعداد
الافتراق عن ابنتها بسرمة . ومن ثم قالت قى تحفظ ا

- نعم .. عندما تكبر مارياتكا سنفكر فى امر زواجها .

وقالت ام ليوكا ا

- لسوف ارسلُ اليك الخاطبة فى اقرب وقت . لعم .. هذا
ما صافله .. وعندما نجمع محصول العنب ، سوف اكون تحت
امرك . سأمى اليك ونحدث قى هذا الامر مع زوجك الطيب .
فقالت ام مارياتكا فى ترفيح ا

- وما جدوى الحديث مع زوجى . ان امر زواج مارياتكا بيدى
انا . ولكن لنترك هذا كله للوقت المناسب .

ولما رأت الزائرة امارات الحزم على وجه جاريتها ، نهضت
بسرمة لتنصرف وهي تقول ا

- حسنا يا صديقتى .. لا تنسى هذا الموضوع ، وفكرى جيداً
لئلا تحدث به اليك .. والان ، يجب ان اسرع بالسودة لاضرم
الفرن واعد العشاء .

وقبما هي تنصرف ، قالت لنفسها حين رأت مارياتكا فى ساحة
الكوخ ا

لا آه .. هذه هي الزوجة التى امنناها لابنى ليوكا .. انها ملكة
بهيمة .. وقد حان وقت زواجها لتكون ربة اسرة ، وزوجة لابنى
ليوكا ..

الفصل الرابع

السيار البحر

كان رجال القرية يشغلون وقتهم بالأعمال العسكرية ، ولا سيما أعمال الحراسة في المخافر وعند اقتراب المساء ، كان ليوكا - الخطاف - الذي دار حوله حديث المراثين ، واقفاً في برج المراقبة بمخفر بيزن برونك القائم على الضفة اليمنى لنهر تريك . كان معتمداً على سياج البرج ، بعد البصر إلى ما وراء النهر حيناً ، وإلى رجليه الواقف في أسفل البرج حيناً آخر ، حيث كان يتبادل معه الحديث ، بين آن وآخر . وكانت الشمس قد غابت وراء القمم المتوجة بالثلوج ، وأخذت السحب تتجمع في السماء - وطاب الهواء بعد وفدة الحر ، وانسابت من الغابات نائم رطبة منعشة ، ولكن الجو حول المخفر كان لا يزال حاراً . وارتفعت اصوات الحراس القوزاقيون وهم يتبادلون الحديث . وأخذت ترفرف في الجو كأنها اصوات عدد من الطيور البرية . وكانت ضفة النهر امام المخفر مهجورة ، ليس فيها الا نبات القاب . اما في الضفة الأخرى فكانت النباتات تمتد صاعدة الى سفوح الجبال التي تقوم فيها قرى التتر .

وعلى البرج وقف ليوكا - الخطاف - بقامته الطويلة ووجهه الوسيم الذي ينم عن القوة والفتوة . وكان - رغم حداثة عهده بالجيش - قد أبدى من ضروب الشجاعة ما جعله مرءوفاً بين

أخواته . وثى وقفته هذه لمح من بعيد نساء إحدى القرى التتريية
يخرجن جماعات ، فقال وكأنه لا يحدث أحدا معينا :

- ترى لماذا تخرج هؤلاء النساء هكذا جماعات .

وود صديقه نازار الذى كان مسترخيا فى جلسته تحت

البرج ا

- من اجل الحصول على الماء من النهر .

لضحك ليوكا وقال ا

- ما رايك لو افزعتهن برصاصة من بندقتى .

- ان بندقتك لا تصل الى هذا المدى .

فقال ليوكا وهو يذب عنه الزنابير المحلقة حوله ا

- اهلا رايك ا ان بندقتى تجاوز هذا المدى .

ثم اردف بعد برهة صمت ا

- عندما يحتفلون بعيدهم الكبير ، سوف اذهب الى صديقى

جبرى خان ، احد اعيانهم واشرب معه زجاجة من جهم .

وسمع الصديقان حفيقا فى النباتات القريبة منهما. ثم ما لبث

ليوكا ان رأى كلب صيد مرقط يسرع نحوهما وقد ادنى انفه من

الأرض ، فعلم فورا انه كلب الصياد المحوز ابروشكا . وما هى

لحظة حتى برز الصياد نفسه من ادغال الغاب فى طريقه الى

المخفر .

وكان الصياد ابروشكا قوزانيا ضخ الجسم ، غزير اللحية

أبيضها عريض الكتفين ، طويل القامة . وكان يرتدى سترة ريفية

مسرقة ، مشدودة بحزام عند الوسط ، ويضع على راسه قلنسوة

من الجلد ، وينتمل حذاء من جلد الفزال مشدودا الى ساقيه

بالاربطة . وعلى كتفه كان يحمل شبكة يختفى وراءها عندما يدهم

لصيد البط البرى ، وحقبة فيها دجاجة صغيرة لافراء البوازى.

وعلى الكتف الأخرى كان يحمل قطة بريئة ضخمة صاها في يومه
ذالك . اما حزامه الجلدي المريض فكان مليئا بالجيوب التي
تحتوي على الرصاص والبارود ومذبة لطرده الهوام وخنجر في غمده
عليه بقايا دماء قديمة . وكان يحمل في إحدى يديه بندقيته ، وفي
الأخرى بطنين بريتين .

ولما رأى المخفر ، توقف وصاح قائلا لكليه بصوت جهورى
رنان :

— مهلا يا ليام .

ثم رفع قبعته الى كتفه وقال لحراس المخفر بنقس الصوت
الجهورى الرنان وكأنه يتحدث الى اشخاص في الجانب الآخر من
النهر :

— ظاب ليلكم ايها الابناء .

وارتفعت الاصوات من كل جانب في مرج :

— ظاب ليلك ايها الصياد ابروشكا .

وقال الصياد وهو يمسح بكم سترته العرق عن وجهه العريض :

— ماذا وراءكم من انباء ايها البواسل ؟ .

وقمّر نازار بعينه وقال :

— يوجد في مكان قريب « بازي » شديد اليأس في حاجة الى

صياد بارع يقضى عليه .

فقال العجوز :

— كفى كذبا يا نازان .

— انتظر وسوف ترى بنفسك .

وضحك الحراس القوزاق الآخرون . وكان من عادتهم
يسخروا من الصياد العجوز كلما راوه . وقال ليوكا في لهجته
استنكارا :

– ان نازار يا ابروشكا بكذب كعادة الحراس *

وصمت نازار ، وقال الصياد ابروشكا :

– اذا كان هناك ما يحتاج الى المراقبة ، فسوف ابقى بينكم *
لكن .. الم نروا خنازير برية فى هذا المكان ؟

وهنا قال الجاويش وهو يحك ظهره بكلتا يديه :

– خنازير برية يا ابروشكا ؟ ماذا تعنى ؟ اننا هنا نراقب التنج
عبر النهر ..

وكانت الانباء قد نواترت بان عصابة من التنج تنوى الهجوم فى
ذلك الليلة على القرية القوزاقية ، ومن ثم اودف الجاويش قائلا :
– الم تسمع شيئا عن نوايا هؤلاء التنج يا ابروشكا ؟

– لا .. لم اسمع شيئا . اللدبكم بعض الخمر ، اننى فى حاجة
الى كاس ، لانى متعب ولسوف اهدبكم ذات يوم بعض البط البرى
.. هلم يا ابنائى .. قدموا الى كاسا من خمرنا الحلوة *

فقال الجاويش وكانه لم يسمع ما قال الصياد :

– اذن فانت ذاهب للصيد الليلة ؟

– نعم .. اننى افكر فى قضاء الليلة هنا .. وربما استظمت
ان اصيد شيئا ينفعنى فى الاجازة . فاذا حالفتى الحظ ، سوف
اعطيك نصيبكم .. والله يشهد على .

وقال ليوكا بصوت لفت اليه جميع الحراس :

– اسمع يا ابروشكا . اذا سرت الى اعلى النهر ، فسوف تجد
قلبما من الخنازير البرية صدقتى . لقد صاد احد زملائنا خنزيرا
علها اول امس . اننى لا اكذب عليك .

وكانت نبرات ليوكا تنم على انه لا يمزح . ومن ثم قال الصياد
المجورا :

— آه .. ان ليوكا بينكم كما ارى .. ليوكا الخطاف .. اين
وايت هذه الخنازير البرية يا ليوكا !

فقال ليوكا وهو يهم بالهبوط من اليرج !

— لسوف آتى معك لاظلمك على المكان الذى قتلنا فيه الخنزير
اليرى اول أمس .. وقد حان وقت تغيير الحراس الليلة .

وفيما كان ليوكا يمضى الى الصياد العجوز ، هتف به
اليجاويش قائلا :

— عد الى مكانك يا ليوكا .

فقال ليوكا للجاويش الذى كان يسمى جوركى !

— ان نوبتك للحراسة يا جوركى قد حانت .

ثم التفت الى الصياد واردف قائلا :

— هلم الى الصيد يا ابروشكا .

ولما عاد ليوكا و ابروشكا من رحلتها القصيرة ، كان الليل قد
اوغل . وكان الجنود القوزاق قد فرغوا من نوبة حراستهم للمخفر .
فاجتمعوا فى حلقة ليتناولوا وجبة العشاء .. وفى خلال هذا كان
الصياد العجوز ابروشكا جالسا تحت شجرة يترقب ظهور البازى
بعد ان وضع له الدجاجة فى مكان ظاهر ليفريه بها . اما ليوكا ؟
فقد ذهب الى ضفة النهر ، وراح ينصب الفخاخ بين النباتات
الغاية لىصيد بها البط البرى ..

وسمع ليوكا صوت صديقه نازار ، فى دغل قريب ، يقول له !

— ليوكا .. يبدو ان الجميع ذهبوا لتناول العشاء .

ثم برز نازار من الدغل حاملا فى يده بطة برية ، فقال له ليوكا !

— آوه .. من اين اتيت بهذه البطة يا نازار .. لاشك انها

وقعت فى احد فخاخى .

وكان نازار - مثل ليوكا - فى نحو الرابعة والعشرين من العمر ، ولكنه كان صغير الجسم ، حاد الصوت ، وكان صديقاً وجاراً لليوكا . وقد رد قائلاً :

- انى لا اعرف على وجه اليقين . .

- لقد كانت هناك ، فى الحفرة تحت شجرة الحوز . . لقد وضعت فخاخى بها فى الليلة الماضية . انها بطنى لاشك فى هدا . وكان ليوكا جالسا متربعا ، كالنسر ، يضع فخا جديدا بين الاعشاب . ولما فرغ ، تناول البطة البرية من نازار وراح يتحسس عنقها فى ابتهاج ويقول :

- سوف نجعل منها وجبة عشاء فاخرة . خذها واذهبها وانزع ريشها .

- هل ستاكلها بمفردنا ام نهدبها للجاويش ؟

- لقد اكل الجاويش الآن حتى شبع .

- اننى لا احب ذبح الطيور .

- حسنا . . ساذبجها انا .

ولما فرغ من ذبحها ، اتقى بها الى نازار وقال :

- هلم اصنع لنا منها وجبة شهية .

فتناول نازار البطة بيد مرتعدة وقال :

- اسمع يا ليوكا . . ان هذا الجاويش اللعين سوف يرسلنا للحراسة على ضفة النهر الليلة انها نوية فوشكين . ولكنه ارسله ليانى اليه ناريق خمر . . الى متى برغمنا على ان نوب فى الحراسة من غيرنا !

فقال ليوكا متجاهلا حديثه :

- امسك هذا الطرف من الشبكة يا نازار .

واطاع نازار الامر ، ولكنه استنطرد يقول :

- سوف اخبره انا متعبان الليلة . . او اخبره انت ، انه

يفقد دائما رغبتك سواء كنت على خطأ او على صواب .

فقال ليوكا بصوت حاد :

- ولماذا تهتم بالأمر ؟ لو كنا في القرية لستمتع بوقت سعيدا
مع النساء ، لكان الأمر مختلفا أما ونحن هنا ، فما الفرق بين
وجودنا داخل المخفر أو خروجنا للحراسة على ضفة النهر ؟

- هل تفكر يا ليوكا في الذهاب الى القرية ؟

- نعم .. في الاجازة .

- ان بوركا يقول ان صاحبك دانا يكا تخونك مع نومشكين ؟

فكسر ليوكا عن امثاله وقال :

- حسنا .. لتذهب هي وهو الى الشيطان .

فعاد نازار يقول :

- لقد ذهب بوركا الى بيتها ذات مساء . وكان زوجها غائبا .
وهذا وجد نومشكين معها يأكل الفطير . وبعد ان جلس بوركا برهة
معها ، انصرف . وفيما هو يمر تحت نافذتها سمعها تقول
لنومشكين « حسنا لقد انصرف هذا الزائر الثقيل .. ما رأيك في
ان تقضى الليلة معي ولا تذهب الى المخفر ؟ » وعندئذ قال بوركا لها
بصوت مسموع « هذا افضل طبعاً » .

فقال ليوكا :

- انك تكذب يا نازار .

- اقسم لك انها الحقيقة .

- حسنا .. اذا كانت قد وجدت حبيبا آخر ، فلنذهب الى
الجحيم ، ان القرية مليئة بالعداوى الجميلات . وانا قد ضقت ذرعا
بدانا يكا على كل حال .

فابتسم نازار وقال :

- انك شاب محبوب من العذارى يا ليوكا .. لماذا لا تتادق

الحب مع ابنة المدرس .. ماربانكا .. انها ليست على علاقة مع
أحد من القرية .

فقطب ليوكا جبينه وقال :

- ولماذا ماريانكا بالذات . ان كل السئات سواء *

- حسنا .. جرب حظك معها .

- سوف احاول . ولكننى مصر على ان القرية مليئة بالعدائى

الجميلات .

ثم نهض وسار فى طريقه وهو يصفى بشفتيه الى المخفر .
وكان الحراس قد فرغوا من تناول العشاء وراحوا يتناقشون فىمن
ينبغى ان يقوم بنوبة الحراسة على الضفة النهر بدلا من فومشكين .

ولما وصل نازار وليوكا ، هتف الجاويش قائلا :

- آه .. هاهو ذا ليوكا .. يمكنه ان يقوم بالحراسة بدلا من

فومشكين الللة .. ولياخذ معه نازار .. وكذلك يمكن ان يصحبهما

العجوز ابرجوشوف .. لقد نال نصيبه من النوم الليلة .

وقال نازار بصوت خافت .

- واثت ابها الجاويش .. الم تم طول الليل!

وضحك رملاؤه الدين سمموه .

وفى تلك اللحظة تقدم العجوز ابرجوشوف متعبرا الى الفرقة،

فقال له الجاويش!

- استعد يا ابرجوشوف للحراسة على الضفة النهر مع نازار

وليوكا .

وكان ليوكا قد استعد ووضع بندقيته على كتفه، اما الجاويش

فقد صاح بلهجة امرأة:

- هلم يا اولاد .. اسرعوا بتنفيذ الاوامر .

وقبل ان يرد احد اردف قائلا حشية الا تطاع اوامره!

- لولا ان الضابط سيحضر الليلة للتفتيش ، لما ارسلت احدا

للحراسة . ولكن .. لا .. لقد تواترت الانباء بان ثمانية من النتر

صوف يتسللون الليلة الى هذه الضفة للاغارة على القرية .. يجيب

ان نكون مستعدين لهم .

وقال العجوز ابرجوشوف لزميله:

- حسنا .. يجب ان نبدأ الحراسة فورا ، ان الاوامر اوامرنا
ولا بسمنا الا الطاعة . هلم .
وفي تلك اللحظة ، سمع الجميع صوت الصياد ابروشكا وهو
يصيح
- مهلا يا اولاد .. لسوف اذهب معكم .. انتم للحراسة ،
وانا لصيد الخنزير البري .

الفصل الخامس

صرع التري

كان الظلام كثيفا عندما سار الصياد العجوز ابروشكا والقوراقيون الثلاثة بعباءاتهم اوبرية وينادفهم على اكتافهم ، في الطريق الى ضفة نهر تيريك ليكنوا في المكان الذي يرقبون منه عصاة النتر المفيرة . وكان نازار كارها هذه المهمة ، ولكن ليوكا ظل يحثه حتى اسرعوا الى بقعة على النهر نحيط بها من ثلاثة جوانب نباتات الغاب العالة ، وهنا قال نازار :

- مارايكم في هذا المكمن ؟

فقال له ليوكا :

- لا بأس .. يمكنك ان تبقى هنا وربما امضى بايروشكا الى المكان الذي تختفي فيه الخنازير البرية .

وقال ابرجوشوف :

- ان هذا المكان مناسب جدا .. اننا نستطيع منه ان نرى دون ان يرانا احد .. ولهذا يجب ان نكمن فيه .

وبسط نازار و ابرجوشوف عباءتيهما على العشب ، ووقفا عليهما اما ليوكا فقد مضى مع الصياد ابروشكا على ضفة النهر وهي يقول هاما :

— ان المكان الذى ابتغيه ليس بعيدا .. لسوف امضى بك اليه ،
وقد رابت فيه ذات يوم بعض آثار الخنازير البرية حين جاءت
لتشرب .

ورد الصياد هامسا :

— انك فنى واسع الحيلة ايها الخطاف .

وبعد مسافة يسيرة ، توقف ليوكا ، ونظر الى الارض ، ثم صقر
بصوت خافت وقال :

— انها تانى الى هذا المكان لتشرب .. اترى هذه الاثان
الحديثة لحوامرها يا ايروشكا !
وقال الصياد فى ابهاج :

— بارك الله بك يا ليوكا .. لاشك ان احد الخنازير
برية فى مكان قريب من ضفة النهر .. لسوف ابقى هنا لارقيه
وعد انت الى زميلك .

وتدثر ليوكا بعبائه جيدا ، وسار عائلا بممرده الى حيث ترك
زميله .

وقال لنفسه فى اثناء السير :

« من يدري .. فلعل بعض رجال النثر يرقبسونى الان ، او
لعلم مختبئون فى مكان ما على هذه الضفة .

وتنبه من افكاره على ظنين مفاجيء فى الماء ، واذا بخنزير
برى كبير ينطلق هاربا فوق ضفة النهر ليختفى بين نبات الضاب .
واسرع ليوكا مصوبا بندقيته ، ولكن الخنزير البرى اختفى بين القاب
قبل ان يطلق عليه ليوكا الرصاص . وبصق الشاب على الارض فى
ضيق واستنكار ثم استأنف السير ، حتى اذا اقترب من المكان
ارسل صفرا حافئاردا عليه احد زميله .

وكان نازار قد رقد على عبائه واستغرق فى النوم . اما
ابرجوشوف الذى كان متربعا فى جلسته ، فقد تزحزح قليلا
ليفتح مكانا لليوكا بجواره . ثم قال له :

- ان هذا المكان مناسب جدا ، وانا مستريح فيه .. هل ذهبت
بأبروشكا الى مكان الخنازير البرية ؟

- نعم .. وقد هربت مني أحدها أثناء عودتي .. ولاشك أنه
نفس الخنزير البري الذي رأيتك أول أمس . ولعلك سمعت طنين
الماء وهو يهرب .

- نعم .. وقد عرفت فورا السبب ، وقلت لنفسي « ان ليوكا
قد فاجأ خنزيرا برياً » .
ثم تدثر في عباءته وأردف قائلا :

- لسوف انام قليلا .. وعليك أن توقظنا عندما يصبح
الذبك . وبممكنك بعدها ان تنام لنقوم نحن بالحراسة . ام لعلك تريد
ان تنام أولا ؟

- لا .. نم انت .. فاننى اشعر بالرغبة فى السهر الآن .
وكانت ليلة حارة كثيفة الظلام ليس فيها نسمة هواء . وكانت
النجوم تلمع فى الأفق البعيد فى جانب من السماء .. اما الجانب
الأخر الأكبر .. فكان محجوبا بسحب داكنة زادت من ظلمة
الليل .

وظل ليوكا ساهرا متحفرا يضع أصبعه على زناد التدفئة كلما
لمح شيئا يتحرك وسمع حركة خفيفة .. ومرت الساعات بطيئة ،
وبدا الجو يبرد والهواء يمتلىء رطوبة .. وتحركت السحب بعيدا
هن وجه السماء ، كاشفة من فم صغير فى هزيعه الأخير .. وكان
تسوه الشاحب المرتعش ينساب فى هدوه على صفحة الماء وعلى
تصفتى النهر .. ومن الأفق الشرقى البعيد بدأت طلائع الفجرتسلل
فى بظء شديد .. وفتح نازار عينيه وتمتم بكلمات غامضة ثم عاد
واستغرق فى النوم . وشعر ليوكا بمزيد من الضجر . فنهض وأخرج
لخنجره من الفخذ وراح يشلب عود غاب ليصنع منه عصا .. وكانت
الذكارة تحوم حول عصابات النتر المفجرة .. لقد امتداد رجال هذه
العصابات ان يقيموا - فى جراءة عجيبة - على قرى القوزاق دون
هيلة بما ينالهم من قتل ومطاردة عنيفة . ومن بدري .. فلعل

احدهم الآن يعبر النهر في مكان آخر .. وان ليوكا ليمد بصره الحاد هنا وهناك .. ولكنه لم ير شيئا وارتدت افكاره الى القرية .. الى حبيته دانايكا .. ثم خامره احساس بالمرارة والغضب .. وازدادت طلائع الفجر العسبة اقترابا . وانتشرت على صفحة الماء نباشير الصباح الباكر .. وطارت هنا وهناك من اعالي الشجر بعض افراخ النسور .. وصاح احد الديكة مؤذنا بظهور يوم جديد ولبعه ديك آخر .. ثم ثالث ..

وقال ليوكا لنفسه : لقد آن ان اوقظ زميلي .

وكان قد فرغ من تشذيب عود الغاب ، وشعر باجعانه تنقل ، واستدار ليوقظ زميله ، وعندئذ سمع - او حيل اليه انه سمع - طشيشا في الماء .. واستدار مرة اخرى بسرعة وامعن النظر الى الافق البعيد عبر النهر . وراء النلال .. هناك حيث كان الصباح يرحف وراء الثمالة البافية من القمر . وراى الشاطئ الآخر من النهر : وجدع شجرة يطغو على سطح الماء وحيل اليه برهة انه هو الذى يتحرك ، على حين ثبت جدع الشجرة وماء النهر في مكانهما . ولكنه ركز نظراته على الجدع الاسود الذى كان يمتد منه غصن صغير : لقد بدا له ان الجدع يطغو بطريقة غير طبيعية .. انه يتحرك نحو الشاطئ الذى يقف فيه ليوكا بدلا من ان يمضى مع تيار النهر . ومد عنقه وراح يرفب بامعان شديد . وفجأة خيل اليه انه راى ذراع رجل ليلو تحت الجدع ، ومن ثم همس لنفسه « هذه فرصة سانحة اقتل فيها بمفردى تنريا من رجال العصابات » واعدبندفينه وصوبها ووضع اصبعه على الزناد ، قال لنفسه « انتى لن اوقظهما ولكن قلبه كان يحقق بشدة وهو يرى الجدع يقترب خفيفا وكان اقمى توشك ان تنقض عليه وبلل ابوكا جهده ليمتلك زمام اعصابه انه اذا نجح فى قتل تنرى دون مساعدة من احد فسوف يفسد بطلا فى انظار اهل القرية جميعا .. ومن يدري .. قريبا منع مساما ومكافاة وترقية . ولعق شفثيه وركز نظاره .. وراى من وراء الجدع راسا ، انه راس تنرى فعلا .. حسنا .. عندما يرفعه مرة اخرى فسوف يطلق ليوكا عليه النار .. وحانت الفرصة ..

وتتم لبوكا عبارات ابتهاج ، واطلوع النار ، واختفى الراس بقوة تحت الجلد .. وصاح ابرجوشوف وهو ينتصب جالسا :

- امك به .. امك به فل ان يفر الى الغابة .
وقال لبوكا بحدة :

- تنبه يا ابرجوشوف .. انه ليس خنزيرا برياً ، وانما تتريئ من رجال العصابات .

وقال نازار الذي يقظه دوى انطلق الناري :

- ماذا نقول ؟ ماذا نقول ؟

- اقول اننى قتلت تتربيا كان بنوى التسلل البنا صبر النهر .
وفرك نازار عينيه وعاد يردد كالبيغاء :

- قتلت تتربيا ؟ قتلت تتربيا ؟

ولم يجب لبوكا ، وانما اعاد حشو بندقيته ، وراح يرقب الحذاع والدرع المعلقة به والراس الذى كان يطعمه ويعوض فى الماء .
وعاد نازار يقول فى ذهول :

- هل قتلت تتربيا حقاً ؟ وبمفردك ؟
- نعم ؟

- محال .. محال .. لاشك ان بندقيتك انطلقت من تلقاء نفسها .

- قلت لك اننى قتلت تتربيا .. اطلقت الرصاص على راسه وهو يتسلل ساحا الينا .. انظر الى هذا الجلد الطافى .
وفرك ابرجوشوف عينيه وقال :

- كفى سخريه منا .. ان ماتقوله مستحيل .. اين هذا التريئ المزعوم :

ولما نظر الى حيث اشار لبوكا .. شعق نازار قائلاً فى خولعه
- وبخنا .. لاشك ان زملاءه سيفرون علينا الان .
لم اخبر بندقيته ..



واردت قائلاً!

- ان هذا النهرى كان يقوم بعمله استكشاف ولا ريب ...
ولعل زملاءه قد عبروا النهر فى مكان آخر .
وفك ليوكا حزامه وبدا يخلع سترته .
وهنا قال له ابرجوشوف :

- ماذا تفعل ابها الاحمق المنهور .. انك اذا خرجت من هذا
المكن فسوف تتمرق برصاص زملاء هذا التترى القليل .. اسرع
بانازار الى المخفر وكن حريصا وابعد عن ضفة النهر بعدد
الامكان ..

فقال نازار غامبياً :

- اتريد منى الذهب بمفردى ؟ لماذا لاتذهب انت ؟
وكان ليوكا قد خلع سترته وسار نحو حافة الماء . ولـكن
ابرجوشوف صاح به قائلاً :

- لاتتقدم باليوكا .. كن على حذر . ان الجنة توقفت فى مكان
ضحل من الشاطيء .. انتظر حتى يانى بعض حراس المخفر ...
اسرع بالذهاب بانازار ، مم تخاف ؟ .. ليس هناك ما يدعو الى
الخوف ، انى اؤكد لك .

وقال نازار :

- ليوكا .. اسرع الان .. اخبرنا كيف حدث هذا ؟
وكان ليوكا قد غير رايه فى تلك اللحظة ، فلم يمض الى حافة
الماء .. واتما استدار عائداً وهو يقول لزمليته :

- اسرعا معا الى المخفر ، وسوف ابقى هنا للحراسة ، واخبرنا
حراس المخفر ليرسلوا رجالا على متنون الجياد حتى يمكننا اللحاق
بيانى المراد العصابة اذا كانوا قد عبروا النهر .
دولب ابرجوشوف واقفا وقال بسرعة :

- هذا ما قلته .. انهم الان على هذه الضفة ويجب ان نلحق
بهم قبل ان يفرروا على القرية .. هلم نسرع الى المخفر .

ثم أردف قائلاً وهو بهم بالإسراع مع نازار إلى المخفر هجرت
الغابات التي تفصل النهر عن مراكز الحراسة!

- خلد حذرک يا ليوكا والا فاجاك رجال العصابة وذبحوك!
فقال ليوكا وهو يختبر بندقيته:
- اذهبوا وأنا سأعرف كيف أحافظ على نفسي.

وجلس في الكمن يرهف السمع والبصر. وبدا القلق يساوره
بحين فاس في خياله المسافة التي تفصل النهر عن المخفر. كان
يخشى ان يهرب رجال العصابة قبل ان تصل النجدة من المخفر. وكان
وكان يعد بندقيته للانطلاق فورا حين يلمح واحدا منهم على الضفة
القريبة او البعيدة. ولكن شيئا واحدا لم يكن يشغل باله
وهو التفكير - مجرد التفكير. في انه قد يصاب في مقتل!

وازداد ضوء الفجر. وبدأت جثة التري تبدو بوضوح وهي
تتأرجح على سطح الماء الضحل. ونجاة سمع حقيقا وراءه، ورائ
وؤوس امواد الفاب الريشية تتحرك، فشرع بندقيته وصوبها.
ولكنه سمع صوت الصياد العجوز ابروشكا وهو يهتف به
قائلا:

- لا تطلق النار على عمك يا ليوكا.

وقال ليوكا وهو يرى ابروشكا يبرؤ من بين امواد الفاب!
- لقد كدت اقتلك بحق السماء.

- وماذا فعلت في اثناء غيبيتي. هل صدت شيئا.

ووقف ليوكا متحفزا، مختلا، يقول!

- نعم. صدت حيوانا بريا خطيرا.

وكان الصياد العجوز يحملق في الجثة الطافية في الماء
الضحل، على حين استطرد ليوكا يقول!

- كان يسبح وراء جذع شجرة. ولحنه. انظر. مراريل
ورقاء، وبندقية كما يبدو الا تراه!

وقال الصياد المجوّز بصوت حازم حزين النبرات :

- اننى اراه طبعاً .. لقد قتلت شجاعاً .

- نعم .. لاننى لو لم اقتله لقتلتى .. ان نازار وابرجوشوف
الى طريقهما الآن الى المخفر لاحضار بعض زملائنا .. فمن المحتمل
ان يكون رجال العصابة فى طريقهم للاغارة على القرية الآن .

وفى تلك اللحظة سمع الاثنان اصوات رجال راكبين من المخفر
وهم يسرعون نحوهما .. وقال ليوكا هانفا :

- هل احضرتم الطوق معكم ..

وقال احد رجال المخفر حين وصلوا الى المكان :

- انك فتى بارع باليوكا .. احضره الى الشاطيء .

وبدا ليوكا يخلع ملابسه دون انتظار لامداد الطوق ، ودون ان
يكف لحظة واحدة عن النظر الى ضحيته .

وصاح الجاربش محذراً :

- انتظر الطوق يا ليوكا .. ان نازار آت به .

وقال اخى :

- لعله لا يزال حياً باليوكا .. خذ حذرك منه .

وقال ليوكا وهو يقفز الى الماء .

- اننى لسنا طفلاً .

وسرعان ما راح يضرب الماء بذراعيه قى قوة ؟ حتى اذا وصل
الى مكان الجنة فى الماء الضحل ، راح يهرها وهو يهتف قائلاً :

- انه ميت تماماً .. لقد اصيبته قى راسه .

وكان التنرى القليل مرديا سراويل زرقاء وكمبعضاً وسترة
وكان قد ربط فى اعلى جذع الشجرة ، بندقيته وخنجره .

ولما عاد ليوكا بالجنة الى الشاطيء ، التف زملائه حولها ..
وقال احدهم :

- لقد احسنت باليوكا .. ما بركة .

وقال آخر ا

- ما شد امتناع وجهه .

وقال ثالث :

- لاشك ان هذا التنرى كان يحاول استكشاف المنطقة قبيل
أفارة زملائه عليها ..

وقال الأول :

- وهذا يعنى انه كان يمتنع بشجاعة فائقة .

- انظروا الى راسه الحليق ولحيته المصبوغة بالحناء ..

- وانظروا الى سترته .. انها جديدة .

وقال الجاويش وهو يقلب بين يديه بندقية وحجر التشرى

القبيل :

- اسمع يا ليوكا .. يمكنك ان تحفظ بالخنجر والسترة ..
وسوف اتفدك ثلاث روبلات فضية نمنا للبندقية .. اننى اريد
الاحتفاظ بها تذكارا .

وصمت ليوكا .. وكان وجهه ينم على ان هذا العرض
لابرفقيه ، الا انه لم يستطع ان يعترض ولكنه راي ان يستفيد من
الموقف ..

فقال للجاويش :

- حسنا .. وارجو بهذه المناسبة ان تأذن لم بالعدة الر بيتى
للدة يوم او يومين .

فقال الجاويش وهو لا يزال يقلب البندقية بين يديه :

- طبعاً .. طبعاً .. يمكنك ان تدهيب ..

ثم اردف قائلاً لبعض رجاله :

- احملوا هذه الحثة الى الفناء الخلفى للمخفر ، وضعوا قوقها
بعقر الاغطية لحمايتها من الشمس . فلاشك ان اهله سيأتون لدفع
الفدية واستردادها .

وقال احد الحراس ا

- ان حرارة الشمس لم تشتد بعد *

وقال آخر:

- وكيف يكون الحال لو تسلل ثعلب ونهشها ؟

ورد الجاويش قائلا:

- اذن يجب ان يقوم احدكم على حراستها . اتهم سياتون لدفع

الفدية ، ومن الافضل ان يستلموها سليمة .

ثم اردف قائلا ليوكا في مرح:

- عندما نظفر بالفدنة باليوكا ، عليك ان تسمى زملاءك في المخفر

دنا كاملا من الفودكا .. مارايك ؟

وقال كثير من الحراس:

- نعم .. هذا هو التقليد المتبع .. ما اسعد حظك يا ليوكا

اذ قتلت تتريا بمفردك وانت في هذه السن !

وقال ليوكا:

- من ذا يشتري الخنجر ؟ ارجو ان يدفع المشتري ثمنا معقولا

له وللراويل ايضا .

واشترى احد الحراس الراويل، بثلاث روبلات . واشترى

آخر الخنجر بثمن دينين من الفودكا *

وقال ليوكا:

- الان استطيع ان اشترى لكم من القربة دنا كاملا من الفودكا.

وقال الجاويش بلهجة امرأة:

- هلم احملاوا الجثة الى فناء المخفر *

ولما تردد الحراس في اطاعة الامر ، صاح ليوكا:

- ماذا تنتظرون ايها الاخوان ؟ احملوها ..

وعندئذ تقدم الحراس ، مرغمين ، لاطاعة الامر ، وكان ليوكا

هو رئيسهم المباشر *

وقال نازار وهو يفحص راس التنرى القليل

- لقد اصيبت في جانبى الراس ، ولكن الوجه سليم . . .
أهله لن يجدوا مشقة في التعرف عليه .

ولم يقل أحد شيئاً ، وإنما لهم الصمت على الجميع وهم في
طريق العودة الى المخفر حاملين جثة التنرى .

وارتفعت الشمس ليلاً . . . وظل الهواء منعشاً في تلك الفترة
من الصباح . . . وكان الندى لا يزال يلمع على الأعشاب والنباتات
وتكمن الحراس كلوا يسرون في صمت حتى قطع لبوكا وهو ينظر
باجتباب الى جسم القليل .

- لقد كان هو أيضاً رجلاً شجاعاً .

ورد عليه أحد زملائه قائلاً :

- نعم . . . ولو كان هو الذى لمحك اولاً ، لما أمكنك أن تسمع

بيتنا الآن . . .

ومرة أخرى خيم الصمت على الموكب . وما هو غير نصف ساعة
حتى وصلوا الى المخفر حيث وضعوا الجثة في الفناء الخلفى
وسترها ببعض الأغطية ، وخصصوا لها حارساً .

وانطلق لبوكا وصديقه نازار في الطريق الى القرية عبر الغابات
التي تقوم بينها وبين المخفر .

وقال لبوكا بصوت أجش :

- سأجعل حبيبتى تعرف الآن من هو الجندى تبعها .

ولوى نازار شفتيه وقال :

- لاشك أنه اليفل الذى قتل تنرىاً بمفرده .

- عليك ان تذهب الى بيتها بانازار دون ان تخبرها اننى ارسلتك

لأنها كان زوجها غائباً فاسرع واخبرلى .

قلعق نازان كسفتيه وقال :

ـ وهل مستركنى معك فى شهرتك ؟

ـ طبعا .. طبعا .. اذا لم نقض الليلة شهرة رائحة ؟ قلعي

لقصلا .

ولما وصلا الى القرية ، شرعا بشربان الخمر حتى فقدا الصواب

وهكذا امضيا الليلة فائبين عن وعيها .

الفصل السادس

أبي عن مكن

بعد يومين من الأحداث السابق ذكرها ، وصل إلى قرية
توفو ملتسك القوراقية كتيبنا من فرقة المشاة بالجيش القونازي
وفي ميدان القرية ، اجتمعت المركبات وجيادها وحاجيات الجنود
وأخذ الطهارة يحفرون أماكن لأضرام النار ويجمعون الوقود لأعداد
وجبة العشاء على حين انشغل الجاويش بدفع مرتبات الجنود . وراح
عدد من هؤلاء الجنود يقيمون الدعائم لإنشاء مرابط للجياد . وعلى
جانب من الميدان ، تراكمت صناديق الذخيرة ، وعلى الجانب الآخر
وضعت الأوعية الضخمة الخاصة بطهو الطعام ، وتوزيعه ، وكان
يشرف على هذه العمليات كلها قائد الكتيبين ، ومساعداه الضابط ،
وصف ضابط يدعى أونيزيم مها لوفتش .

وكان أهل القرية ينظرون إلى هذا كله في غير رضى . ولكن
الجنود انطلقوا بعد أن تناولوا مرتباتهم ، في شوارع القرية وميادينها
غير حافلين برضاء الأهالي أو بسخطهم . وكان كل جندي أو كل
الثنين مما يدخلان هذا الكوخ أو ذلك ، ويغازلان النساء ، ويسطنان
أيديهما بالمال والحلوى ، وهكذا لم يكن يخلو فناء كوخ من بعض
الجنود الصاخين العاشقين على حين كانت ضحكاتهم تخطط بصباح
النساء اللاتي كن يرفضن السماح لهن بالإقامة بينهن ، أو بتقديم

تأبيريد الجنود من ماء أو طعام . وكان الأطفال يختبئون هنا وهناك
ويحملون في وجوه الجنود بنظرات يملؤها الخوف . أما الرجال
المجائز ، فقد جلسوا امام الاكواخ ينظرون الى ما يجري في حرت
وامتسلام .

واستطاع اولنين - الذي كان قد مضى عليه ثلاثة اشهر ضابطا
متظوعا بالجيش القوقازي أن يجد من يدلّه على أحسن بيت في
القرية ، وهو بيت المدرس العسكري ، ايليا قاسبليفتش . . . والنا
الحساء ماريانكا وزوج المعجوز اولتيكا .

وقال فاتيوشا وهو يدخل فناء البيت مع سيده اولنين ، راكبين
جواديهما بعد مسيرة خمس ساعات متواصلة :

- ترى ماذا سيحدث لنا في هذه القرية يا اولنين ديمتري
المدرس ؟

ونظر اولنين في عطف الى تابعه . . ثم ابتسم وقال :

- كل خير طبعاً .

وكان اولنين قد تغير الى حد كبير . . لقد بدا بعد ثلاثة اشهر
من الالتحاق بالجيش وكأنه شاب آخر . . شاب ممثله قوة
وفتوة . . متوهج الوجه ، ملوح البشرة ، له شارب انيق ، ولحية
صفيرة تضفي عليه مزيداً من سمات الرجولة .

وقال فاتيوشا وهو ينحنى لبضع الحقايب على الأرض :

- هذا هو رايك لانك لاتعرف شيئاً عن هؤلاء الناس . اتهم
لا يحبوننا نحن الروميين . . وان كل غريب يفتد الى بلادهم هو
موضع الشك والارتياب . . اننا لم نستطع حتى الآن أن نظفر
بكلمة منهم .

وقال اولنين وهو لا يزال يتشم :

- كان يجب أن نتحدث أولاً الى شيخ القرية .

- اننى لا اعرف مكانه .

وقال اولنين وهو ينظر حوله :

- ولكن . . ماذا يشر سخطك الآن يا فاتيوشا ؟

- كل شيء .. اللعنة عليهم .. ذهب صاحب البيت كما قالوا
ليصيد السمك .. وزوجته العجوز خبيثة كالثيطان .. وليكن
الله في عوننا ضدها .

ورضع الشاب راسه بين يديه وقال :

- اننى لا ادرى كيف ستعيش في هذا المكان اللعين .. انهم
اموا من التتر .. بل ان التتر يعتبرون من اشد الناس حضارة
بالنسبة لهؤلاء الهمج .

فقال اولئين دون ان يترجل من جواده !

- اذن فانت لاتشعر هنا بالامن والراحة .

فهز فانيوشا كتفيه كأنما يرى ان مثل هذا السؤال لا يحتاج الى
اجابة . وشغل نفسه بالعناية بالحواد الذي ترجل عنه سيده ، بينما
هاد اولئين يقول ببساطة !

- اذن فالنترى يعتبر رجلا متحضرا .. بالنسبة لهؤلاء الهمج

وفانيوشا ..

فقال الشاب في عناد وغضب !

- نعم برغم سخريتك منى .

- لادامى للفضيب فانيوشا .. انتظر حتى اتفاهم مع اصحابى
هنا الكوخ . لسوف يتم كل شيء على خير ، واؤكد لك اننا سنقضى
هنا اباما او شهورا سعيدة .

ولم يجب فانيوشا ، وانما هز راسه اسفا ، وراح يشيع سيده
المتجه الى باب الكوخ بنظرات كلها الاشفاق والرثاء . وكان اولئين
يعامل فانيوشا كصديق ، وليس كتابع . ذلك انهما نشأ معا منذ
اكانا غلامين فى الرابعة عشرة . ومن ثم كان شعور كل منهما نحو
الآخر اقرب الى الصداقة منه الى شعور السيد نحو التابع
او العكس .

وصعد اولئين فى الدرجات القليلة المؤدية الى باب الكوخ الاول
- لان الفناء كان يحتوى على كوخين كبيرين - وفتح الباب قليلا .
ووثبت مازيانكا التى كانت جالسة مرتدية ثوبا منزليا خفيا .
والتصقت بالجدار واخفت وجهها بكم ثوبها وراحت تنظر فى خوفه

وجرع الى اولئين الذى شرع يتقدم الى الغرفة مترددا وهو يقول
لنفسه !

- ما أجملها ! ولكن القربة مليئة ولا شك بالمذارى الجميلات
من هذا الطراز .

وكانت المعجوز اولتيكا مستديرة بظهرها الى الباب تكس
الأرضية وهي لا تردى أيضا غير ثوب واحد من نسيج خفيف ، شأن
لساء القوزاق أثناء وجودهن داخل البيوت .

وقال اولئين بصوت مهذب حين رآته السيدة المعجوزة
- طاب يومك بالأمه .. لقد جئت لاتحدث معك عن السكنى
النا .

فاستدارت المرأة المعجوزة اليه بوجهها الذى كان محتفظا بلمحات
من الجمال الدابر لم قالت بصوت حاد :

- ماذا تفعل هنا ؟ هل جئت لتسخر منا ، لسوف اعلمك كيف
تسخر منا ، ولياخذك الطاعون .

وكان اولئين يظن كما قيل له - ان جنود الجيش القوزاقى
الذى ينتمى اليه هم دائما موضع الترحيب والحفاوة من سكان
القرى القوزاقية ، ولهذا فوجيء بثورة المرافطيه وامتنكارها لوجوده
فى بيئتها .. ولما حاول ان يؤكد لها انه بنوى ان يقيم فى بيئتها
بالأجر ، ابت المرأة ان تستمع اليه أو تتفاهم معه ، وانما صاحته
قائلة :

- ماذا تفعل هنا ؟ ومن ذا يريد ان يستقبل وياه مثلك فى بيئته؟
انتظر حتى يعود زوجي وسوف يعرف كيف يلقي بك الى الشارع
.. اتنا لا نريد نفودك ، أم لعلك تظن اننا لم نر نفودا من قبل ..
ليت التتر يمزقونك اربا .

وقال اولئين لنفسه : يبدو ان فاتبوشا على حق فى مخاوفه
ولا شك ان التترى رجل متحضر اذا قورن به هذه المرأة القوزاقية
الثائرة .

ثم مضى الى خارج الكوخ وشتم المعجوزة اولتيكا تبعه .. وفيما
هو يقترب من باب الكوخ اذا بماريانكا تنفلت بجوارحه ، وهي لانزال

قمر نوبها الأرجواني الرقيق ، وبدها على وجهها ثم تهبط الدرجات القليلة بسرعة ، ثم تتوقف في الشرفة المؤدية الى العناء ، ثم تستدير وتُنظر الى الشاب أولئین بعینین ضاحكتین .. ثم تسرع وتخفى وراء ركن الكوخ .

وكان لحطوانها الرشيقة . وبظراتها الضاحكة ، وجسمها اللدن تحت نوبها الأرجواني الرقيق . أكبر الأثر في نفس أولئین ومن ثم عاد يقول لنفسه « ما أجمل هذه العذراء .. »

ولما وصل الى فانبوشا .. قال هذا له وهو لا يزال مشغولاً بالحضائب :

- انرى أ ان العناء تشبه العرال البرى .
- ثم ارسل ضحكة وأردف مائلاً :
- بل هي أشبه ما تكون بالفرس التي لم يروضها احد أ .

وفي ساعة متأخرة من اصل اليوم نفسه . عاد رب البيت من رحلة صيد السمك فلما علم ان الساكن الحديد بنوى ان يدفع ايجاراً لسكنائه ، هذا من ثائرة زوجته ، وانفق مع فانبوشا على قبعة الأيجار .

وسرعان ما استقرت الامور في الكوخ . لقد انتقلت الاسرة من الكوخ الامامى الى الكوخ الثانى ، الخلقى ، المخصص لعصل الشتاء ، تاركة الكوخ الصيفى لأولئین وتابعة نظم ايجار قدره روبلات ثلاث قى الشهر . وبعد ان اصاب أولئین بعض الطعاع قام بسريع وفرى بوادر المساء استيقظ واغتسل وارندى ملابسه وتناول العشاء ، واشعل سبجارية ، وجلس حوار الناقد ينظر الى الطريق وكان الجو قد بدا بلطف . وظلال الكوخ تتراعى عبر الشارع المضر لتصل الى اسفل الكوخ المقابل . واخذت النساء المنعشة تنهادهن وخيم السكون العميق على القرية بعد ان استقر الجنود فى مساكنهم وكان معظم الرجال والنساء لم يعودوا بعد من الحقول والغابات .. كان مسكن أولئین يقع فى نهاية القرية على وجه التقريب .. ومن ثم كان يسمع بين الحين والاخر طلقة نارية من بعيد ، عبر نهر

فيريك وسهول كوميسك التي عبرها في رحلته . وكان يشعشع
بتمام الرضا بعد هذه الشهور الثلاثة التي عاشها في هذا الجو
العسكري . لقد استرد خلالها شبابها الذي كان يضيع في مشاهدات
حياته المترفة ، واسترد مع الشباب قوته وقوته . . وتذكر في
ابتهاج المعارك التي خاضها مع الجيش القوقازي ، وكيف استطاع
أن يواجه الأخطار كأي جندي مدرب بأسل ، وبذلك أمكنه أن يشبع
جدارته للاندماج بالجيش القوقازي المشهور . وخيل إليه أن ذكريات
حياته في موسكو قد أصبحت بعيدة بعيدة ، كأنها ذكريات حياة
إنسان آخر لا يمت إليه بسبب . لقد انتهت حياته القديمة تماما
لتبدأ حياة جديدة ليس فيها أخطاء أو نزوات . . أنه الآن إنسان
جديد مع إنسان جديد . . أنه الآن يستطيع أن يبني حياة جديدة
يفخر بها هو وأبنائه من بعده .

ونظر إلى الفلمان الذين كانوا يأمرون «النحلة» في ظلال الكوخ
ثم عاد ينظر إلى غرفته الواسعة الرحبة ، وتنهت في أرياح . .
أنه يفكر في مدى السعادة التي يشعشع بها إذا هو استقر في هذه
القرية القوزاقية الرائعة . . وأن نظراته لتعتمد إلى الجبال . . الجبال
المتوجة قممها بالثلوج . . ما أعظم الطبيعة وأروعها . . أن حياته
الجديدة قد بدأت . . وأنه لجد سعيد بها .

وسمع الفلمان ينشدون فجأة بأصوات جماعية ،
أنه ودع زوجته . .

وشرب كأسه إلى آخرها .

أن الصياد أبروشكا ودع زوجته .

وباعها من أجل كأس من الخمر !

ورأى أولنين الفلمان يسرعون نحو رجل عجوز ضخم الجسم
يقتررب في الشارع وهم يرددون :

أن الصياد أبروشكا باع زوجته .

وكذلك باع خنجره . .

من أجل كأس من الخمر .

وكان المعجوز ابروشكا عائدا من رحلة صيد وقد حمل بندقية على كتفه ، وتدلت من حزامه بضع بطات برية .. وكان يود على الفلمان وهو يلوح بذراعيه وينظر الى النوافذ على الجانبين ، قائلا بصوت ينم عن الاستياء يرفم تظاهره بعدم الاهتمام :

- نعم بالولاد .. كان عارا على ان ابيع زوجتي المعجوز بكاس من الخمر .

ودهش اولتين لتصرفات الفلمان نحو الرجل المعجوز ، ولكن دهشة كانت اعظم حين رأى جسم الصياد الهرقلى ومايدل عليه من قوة وعزم ، ولم يسهه الا ان يناديه قائلا :
- ها ايها الصياد .. ايها القوزاقى .. تعال هنا .

وتوقف المعجوز وتطلع الى النافذة ثم قال وهو يرفع فلتسوته من راسه الحليق :

- طاب مسأوك باصديقى المحترم .
واقترب من النافذة واردف قائلا :

- اتهم يسخرون من رجل عجوز ، ولكن هذا لابهم .. همهم
ليسدوا قليلا بالعبث مع رجل عجوز .
وكان صوته قويا وهو يردف قائلا :
- هل انت القائد الجديد هنا ؟

- لا اتنى ضابط منطوع فقط . ولكن من ابن جئت بهذا البط
البرى ؟

- هذه البطات الثلاث صدها فى الغابة ولم اجد
غيرها .

ثم اخذ منها بظنين وقدمهما الى اولتين قائلا :

- ارجو ان تقبل هذه الهدية منى .. ويبدو انك شارب
الصيد .. اليس كذلك ؟

- بلى .. لقد صدت فى احدئى المواقع الحربية اربع بطات
بمفردئى .

فقال الصياد بلهجة لا تخلو من التهكم :



- اربع بطات دفعة واحدة ؟ انك تحب الشراب كذلك ! ما رايتك
للى خمرنا القوزاقية ؟
- ماذا نظن بى ا اننى طبعاً احب الشراب .
- آها .. انك شاب رائع كما يبدو .. لسوف اكون صديقاً
وفيا لك .. مارايك ؟
- اذن . ادخل .. ولسوف نشرب معا بعض خمركم القوزاقية
هذه .

- اننى ارحب بهذا .. ولكن يجب اولاً ان تقبل هذه الهدية !
وكان واضحاً من سمات وجه العجوز انه احب اولنين ، وانه
ادرك بسرعة ان فى مقدوره ان يظفر بين الحسين والاحمر بيضة
كودس من الخمر بلا مقابل .. ولهذا اصر على ان يقدم البطشين
هدية لأولنين .

ودخل العجوز الكوخ ، وراح يتبادل الحديث مع اولنين حتى
اقبل فانيوشا ونظر بى دهشة وامتعاض الى هذا الزائر الغريب ،
ولكن اولنين بادره قائلاً :

- اذهب يا فانيوشا واشتر لنا بعض الخمر من صاحبة البيت
واحضرها لنا هنا .
وهنا قال الصياد العجوز لفانيوشا :

- دعهم يقدموا لك الخمر من الدن الذى فتحوه حديثاً . ان
لديهم احسن حمر فى هذه المنطقة . ولكن لا تدفع لهم اكثر من
للاثى كوبكا للقدح الواحد .. لان هذه المراه العجوز بسرها جدا ان
تخدع السكان الجدد وتبيعهم الخمر بأسعار خيالية .
لم همس لأولنين قائلاً بعد انصراف فانيوشا :

- ان قومى هؤلاء حمقى جدا . انهم ينظرون اليكم ايها
الروسيون على انكم لستم من بنى البشر .. انكم فى نظرهم امولا
من التتر ؟ وهم يسمونكم بالروسيين الكفرة . اما انا ، فانى انظر
اليك كخندى باسل .. وكرجل لك زوج وجسد ومبادئه كاي
رجل آخر . السنن على حق ؟ ان قومى هنا يكرهونى لاننى لحيى

لناص جميعا بلا استثناء .. اننى رجل مرح . نعم .. اننى ابروشكا
للصباد يا صديقى العزيز .
ثم ربت بقوة على كتف اولنين .

كان فانيوشا فى حالة معنوية رائعة بعد ان استقرت الامور .
وبعد ان نال قسطه من الراحة ، وبعد ان جعل حلاق الكتبية يخلق
له ذقنه . وقد اسرع بتنفيذ اوامر سيده فاخذ زجاجتين فارغتين ،
وانطلق الى ربة البيت العجوز وقال لها بصوت رقيق ليكتسب
مودتها !

- طاب مساؤكم ايها الناس الطيبون . لقد ارسلنى سيدى
لاشتري منكم بعض النبيذ الاحمر .. فهل تكرمونا ايها الناس
الطيبون !

ولم تقل المرأة العجوز شيئا . وكانت ماريانكا واقفة امام مرآة
العصبي رأسها بمنديل ابيض . ونظرت الى فانيوشا دون ان تقول
شيئا ايضا .

وعاد الشاب يقول وهو «يشخلل» بالنقود فى جيبه :
- لسوف ندفع لكم بخاء ايها الناس المحترمون . عاملونا
بكرم وسوف نعاملكم بكرم اكثر ..
وقالت المرأة العجوز فى النهاية :
- ما هى الكمية التى تريدونها ؟
- ملء هاتين الزجاجتين .
فقالت العجوز اولتيكا لابنتها :

- اذهبى واعطه ما يريد يا حبيبى .. اعطه من الدن الذى
التحناه اخيرا .

والتقطت ماريانكا مفاتيح المخزن ، وانصرفت بتبعها فانيوشا .
ولما مرت بجوار نافذة اولنين ، اشار هذا اليها وقال للصباد
ابروشكا !

- من هذه الشابة الحسنة يا صديقى ؟
وقمرا ابروشكا بعينه ، ولكز اولنين بمرفقه ، ثم قال هامسا
وهو ينظر من النافذة !

– انتظر لحظة –

لم رفع صوته وقال!

– ها ماريانكا يا حبيبتي .. الا تحبينني ؟ انى رجل باسأل!

قامت ماريانكا سيرها بعد ان الفت عليه نظرة بطيئة جعلته

يستورد هاتفا!

– بادبني الحب وانا اجعلك اسعد فتاة فى القرية .

ثم عاد يغمز لاولتين ويوجه اليه نظرة متسائلة ويردف قائلا!

– انى كليلي .. انى وهل .. انى اسد ..

ونجاة همس قائلا!

– وهى ملكة متوجة على عرش الجمال

وقال له اولتين!

– انها لكذلك .. دعها تات الينا ..

فهمز ابروشكاراسه وقال!

– لا .. انها ستزوج ليوكا .. وهو شاب قوزاقى باسأل!

الله الشجاع الذى قتل بمفرده تنريا من رجال العصابات فى ذلك

اليوم . دعها له وسوف ابحت لك عن فتاة لا تقل جمالا عنها ، فتاة

تودى الحرير وتزين بالفضة . وانا اذا قلت شيئا ، فانى اكون

قائما عند قولى .

فرد اولتين عليه قائلا!

– انتحدث هكذا وانت فى مثل هذه السن . انها لخطيئة

البرى!

فقال العجوز مستنكرا!

– خطيئة كبرى! ابن الخطيئة فى هذا هل من الخطيئة ان انظر

الى فتاة جميلة ، او احب فتاة جميلة ، او اخرج للنزهة مع فتاة

جميلة! من ابن جث! لا يا ولدنى العزيز! انها ليست خطيئة . انها

ههههه .. لقد خلقك الله .. والله خلق هذه الفتاة ايضا .. ان الله

هو خالق كل شيء ، ولهذا فليس من الخطيئة فى شيء ان ينظر
الانسان الى الجمال .. الجمال الممثل فى زهرة او فى فتاة . لقد
خلقها الله جميلة لكن تعيش سعيدة ولكي تسعد الناس . هذا هو
راى با ولدى العزيز .

وعبرت ماريانكا الفناء ، وذهبت الى مخزن النبيذ ، وتمتمت
بدعاء قصر قبل ان تبدأ بملء الزجاجتين من الدن .. ووقف
فانيوشا بالباب يرقبها وعلى شعته ابتسامة ..

ولما فرغت من ملء الزجاجتين بالنبيذ الأحمر ، سلمتهما الى
فانيوشا قائلة حين اراد ان يدفع لها الثمن :

- اعط امى النقود .

وقال فانيوشا حين رآها مقطبة الجبين :

- وماذا بفضبك منى يا فتاتى الحسنة !

وبدات ماريانكا تضحك وتقول :

- وماذا عنكم ابها الروسيون ؟ هل انتم اناى طيبون ؟

وتأملها فانيوشا برهة قبل ان يرد عليها .. واخيرا ابتسم وقال
بلهجة مؤكدة :

- ابنى وسيدى من الناس الطيبين فعلا . والدليل على هذا
اننا نتمتع بحب الناس لنا حينما أقمنا .. ان سيدى من طبقة
النبلاء فى موسكو .

وانصت الفتاة باهتمام ، لم قالت :

- وهل هو متزوج .. سيدك هذا ؟

وغمز فانيوشا بعينه وقال :

- لا .. سيدى لم يتزوج بعد .. ان شبان الطبقة التى ينتمى
اليها لا يتزوجون فى مثل هذه السن المبكرة .

- يبدو أنك بارع فى سرد الاقاصيص الخيالية ، حسنا ، وهل
هو قائد الجنود هنا ؟

- ان سيدى ضابط متطوع فى الجيش القوزاقى ، ولم يصل
بعد الى درجة الضباط العاملين ولكنه شخصية مرموقة هامة ،
اكثر همة من فائد لواء . انه ليس معروفا من قائد فرقتنا هنا
فقط . وانما هو معروف من القيصم نفسه .

قال فانوشا هذا بلهجة كبرياء ، ثم اردف قائلا :

- اننا لسنا من هؤلاء الجنود البائسين المرتزقين ، وانما نحن
من أسرة مريقة . لقد كان لوالده الف عامل مسخر فى اراضيه
الواسعة . وان سيدى ليتلقى فى كل ثلاثة اشهر الف روبل من
ايراد ممتلكاته الواسعة . وهذا ما يجعلنا موضع الحيب والتقدير
ايضا ذهنا .

فقاطعه ماريانكا قائلة :

- هلم مضر . . لسوف اغلق المخزن .

وقدم فانوشا الى جاجتين لاولتين مائلا :

- ما اجمل هذه العذراء !

ثم رسل ضحكة عالية وانصرف .

الفصل السابع

ليوكا ومارينا

في خلال هذه الفترة كانت القرية قد بدأت تستنقظ كالمعتاد كل يوم في مثل هذه الساعة . من سباتها قبيل الغروب . لتستقبل العائدين من الحقول والغابات . واخذت قطعان الماشية والمركبات تندفق من الدواجن ، وتسير في جرها القبار ، على حين ارتفعت اصوات النساء والعنيت وهن يترفن على ادخال الماشية الى المرابطة وكانت الشمس قد اختفت تماما وراء قمم الجبال البعيدة ، ولم يبق منها في صفحة السماء الا نقابا باهتة حمراء . وهناك بعدا . . فوق البساتين المقلعة بوادى المساء ، بدأت بعض الانجم تلمع في خفوت وما لبث ضجيج العوده من الحقول ان خف ، وهدأت القرية ، وخرجت النساء والفنات الى سوانات الاكواخ يتبادلن الاحاديث ويتسلين بقزقة اللب ، وذلك بعد ان فرغن من حلب الأبقار واعداد طعام العشاء .

وكانت احاديثهن في ذلك المساء تدور حول مصرع السرى على يد ليوكا - الخطاف - وكان حد المجازة قد راح يسر عليهم كيف استطاع ليوكا بمفرده ان يقضى على التنرى الجبار .

وقالت احدى النساء :

- لاشك انه سينال مكافاة كبيرة .

- نعم .. بالتأكيد .. « ونيشان » أيضا .
- ان ذلك الجاويش موزيف حاول ان يخدعه فأخذ منه بندقة
النترى رغبا عنه . ولكن الضباط في معسكر كيزلبار سمعوا بهذا
الأمر .

- انه خلوق حقير ، ذلك الجاويش موزيف .

وقال: حدى القتيات !

- انهم هوبون ان ليوكا في القرية الليلة .

- نعم .. انه يشرب الخمر مع نارار عند يامكا .

وكانت يامكا امرأة قوقازية تدير حانة بغير ترخيص .
وأردف المتحدث قائلا :

- وقد سمعت انهما شربا اربع رجاجات كاملة .

وقال : حدى النسوة !

- ان الخطاف يختطف الحظ كله - والخطاف اسم على مسمى
.. الا انه يتم سنائر حقا . لا شك في هذا . حاد كالخجر .
وقلب وسخر اليد . وكان والده كذلك . انه صورة كاملة منه
.. وعندنا آتل خرجت القرية كلها لتسعه .. انظروا .. هاهم
آتون لقد استطاع ابرجوشوف ان يعرض نفسه على الشابين .

واشارت المتحدثة الى ثلاثة رجال كانوا يفترون نحوهم . وكان
ليوكا ونازار و ابرجوشوف يتقدمون نحو حلقة البنات والنساء
بعذان شربو نعمة كبيرة من الفودكا . ومن لم كانت وجوههم
مقظومة لاسيما وجه ابرجوشوف الذي كان يترنج ويضحك
هاليا وبلكر اترار في جانيه قائلا للبنات

- ما ربيكي في اغنية نسمعنا اباها ا هلممن يا بنات .. غنين
تكريما للبطولة

وقالت النسوة :

سائكم لنتم لستمتمون بوقتكم . آ اليس كذلك .

وقالت حدى ربات البيوت :

- ان انشاء لا يكون الا في الاعياد .. وانتم سكارى .. ههوا

لانفسكم .

وضح ابرجوشوف بالضحك ، ولكز نزار قائلا *
- ابدا انت بالفناء يا نزار ، وسوف اشترك معك فان لي
صوتا اعذب من صوت العندليب .
وقال نزار :

- ايها الجميلات ، ماكن صامئات هكذا . لقد حثنا من المخفر
من اجلكن . . وقد شربنا الآن تكريما ليوكا .
وكان ليوكا واقفا امام الفتيات منفرج السافين ، محالا بنفسه ،
مائل القنوة ، يداعب خنجره المشدود الى الحزام باصابعه ،
ويوزع ابتسامته على الجميلات . فلما اقبلت ماريانكا رفعت قننوته
تحية لها ، فاومات براسها ترد عليه تحيته ، وجلست على المصطبة
مع البنات واخرجت من صدرها كيس اللب، وراحت تفرقه وتلعظ
القشر بلا اهتمام .

وبعد ان خيم الصمت برهة ، قالت احدي النساء :

- هل جئت لتقييم مدة طويلة يا ليوكا ؟

فرد ليوكا باكتئاب :

- حتى صباح الفد .

وقال القوزاقى العجوز الذى كان بروى حادث التثرى *

- ليباركك الله يا ليوكا وليزد من حظك الحسن . اسى فخور
بك ، وقد كنت افول هذا الآن .

وضحك ابرجوشوف وقال :

- وانا ايضا فخور به . . آه . . انظروا الى ضيوفنا .

ثم اشار الى احد الجنود المارين واردف قائلا

- ان فودكا الجيش من النوع الممتاز ، وانا احبها جدا .

وهنا قالت احدي النساء :

- لقد سكن فى بيتنا ثلاثة من هؤلاء الابالس . وقد ذهب

جدى الى شيخ القرية ليحنج ولكن الشيخ قال له انه لا يستطيع
ان يفعل شيئا .

وقالت امرأة اخرى :



- وهل اناروا المتاعب لكم ؟
وردت امرأة لثثة :

- يكفى انهم يبصقون بقايا مضغ التبغ على ارضية الغرف .
ان من حقهم ان يدخنوا او يمضفوا التبغ خارج الاكواخ . ولكن
ليس من حقهم ان بلولوا بيوتنا بهذه الاشياء القلرة .
وقالت امرأة اخرى :

- وهم لا يترددون عن سرقة اى شىء يقع فى ايديهم . لماذا
لا يستضيف شيخ القرية بعضهم . . عليه اللعنة .
وقال ابرجوشوف :

- يبدو انك غير راضية عنهم !
وقال نازار وهو يقلد ليوكا فى اختياله :

- والاسوا من هذا انهم يرغمون بناتنا الجميلات على خدمتهم
واعداد الاسرة لهم .

وضح ابرجوشوف بالضحك وهو يعانق اقرب فتاة اليه :
- هذا حقيقى .

وصاحت الفتاة وهى تتخلص منه :

- ايها الحيوان الدميم . . دهنى والا اخبرت زوجتك العجوز .
ولكن ابرجوشوف هتف قائلا :

- اذهبى واخبريها . ولكن نازار لم يقل غير الحقيقة . لقد
أصدر قائد المسكر تعليمات مكتوبة بذلك . وان نازار ليحسن
القراءة .

ثم شرع يعانق الفتاة التالية ، الا ان هذه صاحت به :

- ابعد يدك عنى ايها الخنزير العجوز .

ورفعت الفتاة ، اوستنكا الوردية الوجنتين ، يدها لتصفعه ؛
ولكن ابرجوشوف تراجع بسرعة وكاد ان يسقط وهو يقول
ضاحكا :

- ها . يقولون ان الفتاة لا قوة لها . . ولكن ها هى ذى اوستنكا
الحسنة ، لكاد تقتلنى .

وصاحت اوستنكا ضاحكة وهى تستدير :

- اتعد ايها الخنزير الاسود، ما الذي جاء بك من المخفر ؟ اذن
تقد كنت . انما عندما حاول التبرى ان يتسلل الى القرية . كان من
الممكن ان يعض عليك . ولبته فعل .

فضحك نازار وقال :

- اذن لكنت عليه حتى تحمر عيناك .

- كنت سابتى عليه بقدر ما سوف ابكى عليك يوما .

فقال ارجوشوف ضاحكا :

- امرى .. انها غدواه بلا قلب . ولكنها سوف يسكى يوما .

البر كذلك يا نازار ؟ .

وفى حلال هذا كله ، وقف ليوكا صامتا وهو يحمق النظر الى
مارياتكا التى شعرت بالخرج من تركيز نظراته عليها . واخيرا قال
لها وهو يقترب منها :

حنا يا مارياتكا . لقد سمعت انهم فرضوا عليكم احدة

الضباط للسكى معكم .

وبم حجب مارياتكا فورا كماداتها : وانما رفعت عينيهما الى يوكا

الذى كان ينظر اليها باسما . واخيرا قالت :

- نعم .

وقالت احدى النساء المجازرا :

- وسكن لاسرة مارياتكا كوخين .. ولا باسن من ان يقيم احدة

الضباط وتابعه فى كوخ منهما اما ال نوفشكين ، فقد سكن معهم

احد الضباط الكبار . ويقال ان الكوخ امتلا بحاجاته حتى لم يمد

لعة مكان لاغامة الاسرة . فهل سمع احد بشيء كهذا ؟ ايليق ان

تعنى القرية بهذه القطعان المفيرة ؟ ولكن .. ماذا يمكننا ان نفعل ؟

ولماذا جاءوا ؟ هذا ما اريد ان اعرفه .

وردت احدى البنات قائلة

- سمعت انهم سيقمون جسرا فوق نهر نيريك .

وقال نازار وهو يقترب من اوسنكا

- وسمعت انهم سيجفرون حفرة كبيرة يدفنون فيها البنات

اللالى لا يبادلن الشبان الحب .

ثم أسرع مبتعدا قبل ان تناله صفة من يد أوستنكا ، مما جعل
الجميع ينجرون بالضحك ويجاوز ايرجوشوف ماريانكا . التي
كان عليها الدور ، وعائق امرأة عجوزا . ومن ثم قال له يئازار :
- لماذا لم تقبل ماريانكا ؟ بح ان تاخذهن بالدور

فصاح ايرجوشوف وهو غير حافل بمقاومة المراه العجوز له !
- لا .. ان هذه العجوز احلى واعذب .

وهتفت العجوز ضاحكة

- اهيتوني .. انه سيكنم انغاسي .

واقترب ليوكا من ماريانكا وقال لها !

- واين اسكنتم الضابط ؟ .

فابتسمت ماريانكا وقالت بعد برهة صفت !

- في الكوخ الجديد .

- اشاب هو ام عجوز ؟ .

قال ذلك وهو يجلس بجوارها . وردت هو فائلة !

- ومن اين لي ان امرف ؟ انني لم اره جيدا .. انه الان جالس
يشرب النبيذ مع الصياد العجوز ابروشكا . وكل ما امرف عنه انه
احمر الشعر ، وان معه الشيء الكثير من الامتعة .
فازداد ليوكا اقترابا منها وهو لا يحول نظراته عن عينها ثم
قال بصوت خافت

- انني سعيد بهذه الاجازة الصغيرة التي ظفرت بها من المحفرة .

وابتسمت ماريانكا خفيفا وقالت :

- والى متى ستبقى ! .

- حتى الصباح .

ثم مديده وقال :

- امطني قلبا من اللب .

والسعت الانسامة على شفتي ماريانكا وهو تقاء الى كيس

اللب فائلة

لا تاخذ الكمية كلها .

وهمس ليوكا بصوت خافت وهو يتناول بعض اللب :

- كنت أشعر بالوحشة وأنا بعيد عنك .. أقسم لك على هذا ،
ثم ازداد اقترابا منها وهمس في أذنها وهو لا يزال ينتهم في
في عينيها :

- هل ستأتين الى كوخى الليلة ؟
فقال بصوت مسموع وهي تتراجع عنه !
- لا .. لن آتى .. مستحيل !

فعاد يهمس قائلاً :
- صدقيني .. اننى أريد ان أخبرك بشيء .. أرجوك ان تاتى
يا ماريانكا .

وهزت ماريانكا راسها وان ظلت باسمة .

وفي تلك اللحظة سمعت ماريانكا اخاها الصغير يهتف قائلاً وهو
يصرخ نحو الجميع :

- اختى ماريانكا .. ان امى تريدك ، لقد حان وقت العشاء .
فقال له ماريانكا :

- سوف آتى حالا .. اذهب انت يا حبيبي الصغير وسوف
الحق بك .

ونفض ليوكا ورفع قلنسوته قائلاً :

- اعتقد انه قد آن لى ان اعود الى بيتى ابناً . فقد تأخر
الوقت .

وارسل اليها ابتسامة اخيرة ، ثم اختفى فى المنعطف وكان
الظلام قد انتشر على القرية ، لا يخفف منه الا نور النجوم المتألقة
فى سماء صافية . وبينما كان نازار باقياً مع النساء والبنات
بضاحكهن وبداهن ، كان ليوكا يتسلل مسرعاً ، لا الى بيته ، وإنما
الى اقرب مكان من بيت ماريانكا وعلى مقربة من السياج ، جلس
وهو يقول لنفسه :

- انها تتعالى على ا حسناً ؟ لسوف اعرف كيف اروضها ..

ولما سمع وقع قدميها وهي تقترب ، وثب واقفا واعترض
ظريقتها ، فتراجعت فى فرع ، ثم اطمأنت حين تبينت انه هو ،
وارسلت ضحكة عالية وقالت :

« لقد افرغتنى ! اذن فانت لم تذهب الى بيتك ! »
ووضع ليوكا احدى ذراعيه حول عنق الفتاة ، ورفع باليد
الآخري وجهها نحوه وقال بصوت مرتعد :

« هناك شيء اريد ان اخبرك به .. صدقيني ..
وقاطعته ماريانكا فائلة :

« ماذا تريد ان تقول ؟ ان امي تنتظرني .. وبحسن بك ان
تذهب الى حبيبك .

وتخلصت منه فجأة ، واسرعت نحو سيارك كوخها ، ولكنه لحق
بها ، فاستدارت اليه وقالت وهي تضحك مرة اخرى :

« حسنا .. ماذا تريد ان تخبرني ايها الخطاف .

« كفى عن السخرية بي يا ماريانكا .. ارجوك . ماذا لو ان لي
حبيبة ! لياخذها الشيطان افتحى لي قلبك وانا احبك اشد الحب .
لسوف افعل من احلك كل شيء . اسمعي ..

ثم شغل بعض النقود الفضية في جيبه واردف قائلا :

« اننا نستطيع الآن ان نبني لنا بيتا . وان الناس فيرتا
يستمتعون بحياتهم .. فلماذا لا نفعل مثلهم . لماذا لا نسمدبني
يا ماريانكا ! .

ووقفت ماريانكا صامتة تطرقع باصابعها . وجمع ليوكا
قبضته ، وقال بصوت حاسم :

« اتنى ضقت ذرعا بالانتظار .. الى متى انتظر . ! الست احبك
وما فيه الكفاية ! .

ثم اردف قائلا وهو يمسك يديها بغضب واهتياج :

« انك تستطيعين ان تفعل بي ما تشائين .

ولم تفقد ماريانكا زمام اعصابها ، وانما قالت بصوت هادئ
واقيع :

« لا داعي لهذه الثورة يا ليوكا .. اتصت الى ..

ودفعت به بعدا عنها قليلا وان تركت يديها بين يديه ، ثم
قالت :

- انى حفا مجرد فتاة لا حول لى ولا قوة . ولكن انصت الى
.. اننى لا استطيع ان اقرر شيئا . ولكن اذا كنت تحببى حقا
فاترك يدي .. انى استطيع ان احدث دون ان تمسك بى هكذا .
اننى على استعداد لان اتزوجك . ولكنك لن تستطيع ان تنال منى
شيئا قبل الزواج .

فقال ليوكا وقد هدات لاثوته وشاع الابتسام فى وجهه،والرقة
فى صوته :

- ماذا تعنين بالزواج ! ان الزواج ليس فى ايدينا .. ولكننى
اريد ان تحببى .. اريد ان اتأكد من حبك اولا يا صغيرتى ماريانكا.
فاقربت ماريانكا منه وقالت وهى تغبله بحرارة :
- يا فتى العزيز .

ثم تخلصت منه بسرعة ، واندفعت الى بوابة كوخها دون ان
تستدبر اليه ، ورغم كل محاولاته لاستبقائها برهة اخرى ، فانها
اصرت على الافتراق وهى تهمس له فائلة :

- هلم ابتعد والا رانا احد .. لعل ذلك الساكن اللعين الجديد
يتجول الآن فى الفناء .
وقال ليوكا لنفسه وهو يتراجع :

- آه يا ابنة المدرس ! انك تريدن الزواج منى ، حسنا ..
ولكن عليك اولا ان تحببى ولسوف نرى .

والتقى بنازار فى حانة بامكا . وبعد ان شرب معه قليلا ذهب
الى حبيبته دونايكا ليقضى معها الليل رغم ما سمعه عن خيانتها له .

الفصل الثامن

حرب عمر مارينا

كان الصياد العجوز ابروشكا يحب ليوكا ويرى فيه لمحات من شبابه الدابر . ومن ثم نهض من رقدته على ظهر القرون في كوخه الصغير حين سمع صوت ليوكا ناريه من الخارج ، وأسرع يستقبله قائلاً

- اه يا عزيزي ليوكا .. هل جئت لتزور صديقك العجوز ابروشكا . ادخل يا ولدي .. ادخل .

وقال له وهو يستقبله داخل الكوخ :

- هل تنوى العودة الى المخفر يا ليوكا ؟

فقال ليوكا وهو يضع امام ابروشكا زجاجة من النبيذ :

- لقد جئت اليك بالتبيل الذي وعدتك اباد بعد مصرع النترى .

- آه .. بارك الله فيك يا ولدي .. ما اكرمك .

ثم صب لنفسه كأساً ، ولليوكا اخرى ، وقال :

- في صحتك يا ولدي ليوكا .. وليزدك الله نجاحاً وشهرة .

وشكره ليوكا .. وأسرع العجوز ووضع بعض السمك المجفف

على مائدة قديمة ، وقال وهو يدعو ليوكا الى الطعام :

- أترى .. أن لدى كفاتى من الطعام دائما .. حمدا لله ..
والآن ماذا عن الجاويش موريف ؟

فلما أخبره ليوكا بأمر البندقية التى أخذها منه الجاويش قال
له إروشكا:

- دعك من هذه البندقية .. أنك لو لم تعطها أباه ، ما ظفرت
بالمكافأة .

- ولكنهم يقولون أنها ستكون مكافأة بسيطة لأنى حديث عهد
بالخدمة ، ولم التحق بعد بكتيبة الفرسان . أما البندقية فأنها
رائعة .. ليس لها مثل لدينا .. أنها مصنوعة من الفرم ..
وتساوى ثمانمائة روبلات على الأقل .

فقال العجوز بلهجة الرجل الحربى :

- دع الأمر يقف عند هذا الحد . لقد اشتبكت فى نزاع من
هذا النوع وأنا شاب مثلك . كان رئيسى الضابط يريد منى أن
أهدى إليه جوادى الأصيل ليرقىنى الى رتبة معلم .. ولكننى
رفضت ، وهكذا ضاعت كل فرصة للترقية بعد ذلك .
فقال ليوكا وهو يومئ برأسه :

- نعم .. نعم يا صديقى العجوز .. ولكن على أن أشرى
جوادا ، ونحن الجواد - إذا حصلت عليه عبر النهر - لا يقل عن
خمسین روبلا ، والدنرى لم نبع محصولنا من النيذ بعد .
- آها .. أن صديقك العجوز إروشكا لم يكن بهتم بهلته
التفاهات عندما كان فى مثل سنك .. كنت أذهب وأسرق قطعانا
كاملة من الجياد من هضاب نوجاى وأمير بها نهر تيريك .. وكنت
أحيانا نبيع الجواد بعباءة أو بزحاجتين من الفودكا .
يمثل هذا السعر البخس كنتم تبيعون الجواد ؟

- نعم .. أنك لا تزال غرا يا صديقى الصغير .. أننا كنا نسرق
الجياد حتى لا نتعلم البخل . أما أنتم يا قتيان اليوم ، فلعل الواحدة
منكم لم ير فى حياته قطيعا من الجياد . لماذا لا تقول شيئا ؟

- وماذا تريدنى أقول يا إروشكا .. أننا لسنا من جيل واحد
- أنك أحمق يا ليوكا .. لاشك فى ذلك ..

ثم اردف قائلا وهو يقلد ليوكا ساخرا:

- انت لسنا من جيل واحد !! حسنا .. بل اننا في الواقع
نختلف جدا . فانا عندما كنت في مثل سنك، كنت قوزاقيا محتلما .
- ماذا كنت يا ابروشكا !!

فهر ابروشكا راسه وقال:

- كان الصياد ابروشكا رجلا اجتماعيا .. لم يكن يبخل على
أحد شيء . ولهذا كان محبوبا من الجميع ، وكان اذا جاء احد
اصدقائي لزيارتي قدمت له الطعام والشراب وجملته بنام في
اقراشي . واذا ذهبت لزيارته حملت هدية له . هكذا ينبغي ان تكون
الحياة ، وليس كما تفعلون الآن . ان التسلية الوحيدة لكم ايها
الفتيان هي فزقة اللب والعبث مع البينات .
فاطرق ليوكا براسه وقال:

- نعم .. هذه هي الحقيقة .

- اذا اردت ان تعيش رجلا ، فكن شجاعا . ان الرجل العادي
اذا اراد جوادا اشتراه .. اما الرجل الشجاع ، اذا اراد
جوادا فانه يظفر به من هضاب نوجاي .
وساد الصمت برهة قطعه ليوكا بقوله:

- نعم .. نعم .. ان الحياة في المحفر مملة وكذلك في القرية .
وليس هنا او هناك مكان يستطيع فيه المرء ان يعرب عن شجاعته .
ان كل زملائك حاملون . اليك نازار مثلا . لقد ذهبت معه ذاك اليوم
الى قرية نترية ، واراد شيخها جيري خان ان يصحب احدا للاغارة
على هضبة نوجاي والظفر ببعض الجياد ، ولكن نازار رفض ولم
يستطع ان ذهب بمفردي .

- وماذا عنى ، اني لم انته بعد .. اعطني جوادا وانا اغرب على
هضاب نوجاي في ملح البصر .

- ما جدوى الحديث على هذا النحو الفارغ، يحسن ان نخبرني
ماذا ينبغي ان تفعل مع جيري خان ؟ لقد طلب مني ان اسرق الجياد
من هضاب نوجاي الى شاطيء تيريك وبعد ذلك يستطيع ان

يتصرف فيها ولو كانت عشرين حوادا . ولكنه رجل تترى . . لهل
استطيع ان اتق به ؟ .

- يمكنك ان تثق في جيرى خان . . انه رجل شريف هو وجميع
قومه . وقد كان والده صديقا حميما لي . ولكن اسمح لي
نصحتني ، دعه يقسم على الاخلاص لك . ويمكنك ان نطمئن اليه
بعد ذلك . واذا خرجت للاغارة معه ، فخذ مسدسك معك ولا سيما
هندما تبدأ في تقسيم الاسلاب . لقد كدت ان اقتل ذات مرة على
يد تترى عندما طالبت بعشرة روبلات من كل حواد . ان الثقة
لا بأس بها ، ولكن عليك ان تجعل مسدسك في متناول يدك دائما .
وصمت الصياد العجوز برهة ، ثم قال فجأة :

- ولكن نصحتني الامامية هي عدم الذهاب الى بوجاي . .
نعم يا ليوكا ، لا تذهب الى بوجاي مهما كان السبب .
- لماذا ؟ .

- لان الظروف قد تغيرت . الا ترى كل هؤلاء الحنود
الروسين الذين يملئون المنطقة ، انك اذا ذهبت للاغارة على بوجاي
فسوف تعرض نفسك للعقاب . . لسوف توضع في السجن صدقني
يا ليوكا ، دعك من بوجاي وحولها . . ان الظروف تغيرت . .
واستعد الصياد العجوز لسرد احدي اقصيص مغامراته التي
لا حصر لها ولكن ليوكا قال وهو يرى ضوء الفجر ينسلل الى
النافذة :

- لقد اسفر الصباح يا صديقي العجوز ، ويجب ان اعود الى
المخفر ، ارجو ان اراك يوما آخر .

- ليحفظك الله يا ليوكا . . وسوف انصرف انا ايضا . لقد
وعدت الضابط اولتين بمصاحته الى رحلة صيد اليوم . . انه
شاب لطيف .

- *** -

وفيما كان ليوكا يسير في طريقه الى المخفر ، صرّ الصياد
العجوز ابروشكا لكلايه ومضى الى مسكن اولتين حيث وجد الشاب

لا يزال يفظ في نومه ، وحتى قاتبوشا كان واقفا في قراشه وهم
يقظنه ، يتلفت حوله ، ليدرك اين هو ، قبل ان ينهض .

وفتح ابروشكا الباب وهو في كامل اهبتة للصيد وصاح قائلا :
- الى السلاح ايها الكسالى ! لقد هجم علينا التنوع . قاتبوشا :
فمع ابريق الشاي على الموقد واسرع ، ما هذا النوم ، ان البنات قفا
لمستيقظن .. انظر الى تلك السائرة نحو النهر لتستقي ؟

واستخفظ اولتين وولب واقفا من الفراش وهو يشعور
بالانتعاش والبهجة على صوت ابروشكا الذى كان يستنرد قائلا :
- خطوة سريعة يا قاتبوشا ، اهكدا يستعد الناس للصيد ؟ ان
الناس قد تناولوا افطارهم وانت لا تزال نائما ؟
وقال اولتين ضاحكا :

- اتنى اعترف بالذنب فلا جدوى من الانكار .. جهز البنادق
والبارود وحقائب الصيد يا قاتبوشا .
وصاح ابروشكا قائلا :

- لسوف اسامحك هذه المرة ، ولكن اذا تكرر هذا منك :
لسوف امرمك لعن زجاجتين من النبيذ الاحمر . ان الغزلان تهرب
الى مخابها بمجرد ظهور الشمس .
فقال اولتين وهو يتذكر احاديث العجوز في الليلة السابقة :
- وحتى الا وجدنا غزالا سوف يكون ابرع منا واذكى . انك
لن تستطيع ان تخدع الغزال في ضوء النهار .

- آه . اضحك ما شئت ، ولكن ينبغي ان تصيد واحدا منها
قبل ان تضحك . ها هو ذا صاحب البيت مقبل علينا ليربك كما
يبدو .. انه يرتدى ملابسه الرسمية لكي يجعلك تعرف انه برية
تصانف .. آه .. ما اشد فرور هؤلاء الناس .

واسرع قاتبوشا من الفناء ، يعلن وصول صاحب البيت :
وصرمان ما اقبل والد مارياتكا في ملابسه العسكرية الرسمية :
وكان وجهه يتم على انه قوزاقى « منقف » ينحدر من اصل كريم
وكان قمر نحو الخمسين من العمر ، ملوح الوجه ، قوى الصوت :
يتحدث بنفس الطريقة التى يتحدث بها الصياد ابروشكا .

واستقبله اولتين مرحبا ، والنمس منه ان يجلس ، على حين قال
أبروشكا وهو ينحنى بطريقة مضحكة .
- طاب صباحك يا سيد ايليا فاسيلفتش .

فرد الضيف قائلا وهو يومي ، براسه فى تحية عابرة !
- طاب صباحك يا ابروشكا .. لقد جئت فى ساعة مبهرة على
ها يبدو .

ثم اردف قائلا لاولتين وهو يشير الى الصياد العجوز :
- هذا هو النمرود العصرى .. انه ابرع صياد فى هذه البلاد
واسبق ارجال الى ركوب المخاطر .. ولاشك انك ستبتهج
بصحبته .

ووقف ابروشكا مطرقا براسه لا يدري ماذا يقول اراه هذا
الاطراء ولكنه كان يفكر فى هذه العبارة « النمرود العصرى »
ويحاول ان يفهم دلالتها !

وقال اولتين !

- نعم .. لقد كنا على وشك الخروج للصيد معا .

- حسنا .. حسنا .. ولكننى جئت لآتحدث معك حديثا لن
يستغرق الا بضع دقائق .

- اتنى رهن اشارتك .

- الواضح انك واحد من السادة الكبراء ، وبما اننى برتبة
اقباط بالجيش ، فمعنى هذا اننا سنتعاهم على كل شىء .
ثم توقف لحظة قبل ان يستطرد قائلا وهو يلقى نظرة باسمة
على الصياد العجوز وعلى اولتين :

- ان زوجتى العجوز لم تحسن الاتفاق معك .. فالواقع ان
هكذا الكوخ كان مؤجرا فى يوم ما لاحد الضباط بستة روبلات فى
الشهر ، غير مربط الجياد .. ولما كانت زوجتى العجوز لا تعرف
لشيئا فى شئون التأجير فانى ارى ان الاتفاق الذى تم بينكما لا
يعتبر قائما ..

- ماذا تعنى !؟

- الا اذا وافقت على ان تكون الابجار الشهرى لهذا الكوخ سنة
روبلا .

ووافق اولين فوراً . . وشرب الجميع الشاي ، ثم نهض الضيفان
وانحنى قائلاً لاولين قبل ان ينصرف :

- ارجو ان يتكرم بزيارتنا وتتناول شيئاً من نبيدنا على حبيبنا
التقاليد المنبعا في هذه البلاد .

- سوف اشرف بزيارتكم في اقرب فرصة .

وبعد انصراف ايلسا فاسيلفتش ، والد ماريانكا قال ابروشكا
العجوز لاولين :

- باله من وفد آ هل ستعطيها حقاً سنة روبلا اجرا شهرياً
لهذا الكوخ ! من ذا سمع بشيء من هذا من قبل ! ان اجر احسن
لكوخ في القرية لا يزيد على روبلين في الشهر بل اننى مستعد ان
اؤجر لكم كوخى بثلاثة روبلات .
فقال اولين :

- لا . . اننى افضل البقاء هنا .

- سنة روبلات آ يبدو ان لديك مالا لاحصر له . . ها بافانوشكا
لاحضر بعض النبيذ اننى ظمآن ابها اللعين .

وبعد ان شرب كل منهما جرعة نبيذ للاستعانة بها على مشقة
الطريق ، انطلقا بعد الساعة بقليل . وعند بوابة القرية التقيا بمركية
ويجرها نوران ، وتجلس في مقعد القيادة ماريانكا وقد عضبت راسها
بمعدبل ابيض يكاد يصل الى عينيها ، وما ان رآها ابروشكا حتى
هتف قائلاً :

- آه . . هاهي ذى حبيبتي ماريانكا .

ورقعتا ماريانكا السوط مهددة وهي تنظر اليه والى اولين
مينبها الجميلتين الضاحكتين .

ثم قالت :

– حذار ان تقترب والا ..

ثم فرقت بالسوط للثورين ، وانطلقت فى الطريق الزراعى بين الحقول وسار فى الطريق نفسه أولئين وأبروشكا الذى استطرد فى الحديث عن والد ماريانكا قائلا

– ذلك اللص .. سنة روبلات ؟ .. ياله من انتهازى لعين .

– ولكن لماذا انت تائر عليه يا أبروشكا ؟ .

– لانه بخيل .. وانا لا اطيق الرجل البخيل . ان الانسان لن يأخذ معه المال بعد الموت ، فلماذا يحرم نفسه أطيب الحياة باليخل واكتناز المال . ان لدبه الآن كوخين وقد ظفر من ابن عم له ببستان ثان من الفاكهة والكروم ، وهو بارع فى كتابة الدعاوى والشكايات لأهل القرية . بل ان اهالى القرى الأخرى يأتون اليه ليكتب لهم شكاياتهم . فلماذا يدخر المال .. ولن ا.. ان له ابنة واحدة وابنا واحدا .. والابنة سوف تتزوج قريبا فلماذا كل هذا البخل والتهاك على جمع المال ! ..

فقال أولئين :

– آه .. لعله يدخر المال لزواج ابنته .

– ان زواج الفتاة لن يكلفه مالا .. انها جميلة ومعظم شبان القرية يتمنون زواجها . ولكن هذا ألوفد يريد أن يزوجه من رجل ثرى . انه يريد أن يظفر من ورائها بجيل كبير . ان فى هذه القرية شابا قوزاقيا يدعى ليوكا . وهو جار لنا، وابن أخ لى . انه شاب بارع شجاع وهو الشاب الذى قتل تتربا بالأمس .. حسنا انه يطلب يد الفتاة منذ مدة طويلة ولكن والدها براوغه ويبتكر الأعذار قائلا انها لاتزال صغيرة وما الى هذا . ولكننى اعرف ماذا يريد .. انه يريد أن يركع الشبان امامه .. ما احقره . ولكن ليوكا سوف يظفر بها فى النهاية ، لانه افضل شاب قوزاقى فى القرية .. وسوف تنال وساما ما على قتله التترى ..

فقال أولئين ؟

ولكن ما رايك اننى رايت هلاه الفشاء امس تقبل قوزاقيا فى
الثناء سري فى الغناء ليلة امس .

فصاح ابروشكا قائلا وهو يتوقف فجأة :

- انك لست جادا .

- اقسام لك على هذا ؟ .

تفكر ابروشكا ثم قال :

- ان النساء شياطين . . ولكن اى قوزاقى هذا ؟ .

- لم استطع ان اراه جيدا فى الظلام .

- مالون فلنسوته . . هل كانت بيضاء ؟ .

- نعم .

- وستوته . . هل كان يرتدى سترة حمراء ؟ .

- نعم .

- وهل كان فى مثل طولك ؟ .

- نعم . . او اطول قليلا .

فانفجر الصياد العجوز ضاحكا وقال :

- انه هو . . صديقى الشاب ليوكا . . اننى احبه كأنه ابنى . .

وصمت اولتين برهة . . ثم قال :

- كيف سيكون صيدنا .

- سوف نتبع الكلب . . وعندما نرى بطة فوق شجرة ، يمكنك

ان تطلق النار عليها .

وبعد برهة صمت اخرى قال اولتين :

- لو انك فى مكانى ، فهل كنت تغازل ماريانكا .

- سوف اخبرك بما يجب ان تفعل هذه الليلة . ولكن عليك الان

ان تراقب الكلب .

وأشار الى كلبه المحبوب ليام .

وبعد ان صارنا مسافة اخرى كى صمتنا : استأنف أولئحين
الحديث عن ماريانكا قائلاً :

- لاذنى حديثنا عن ماريانكا .. اذن فهى تتبادل الحبيب مع
ليونكا ..

تفهمس الصياد العجوز قائلاً :

- سكوننا .. اتصت جيداً .. اننا الآن سندخل الغابة ..

لم تقدم فى ممر ضيق ، وما لبث الاثنان ان وجدا نفسيهما
داخلاً غابة كثيفة الشجر .. وكلما سمع ابرووسكا حفيفاً ، شرخ
بتدقيته ، وتجاهة عاد يقول بصوت هامس قاضياً :

- لا نحدث صوتاً فى مسيرك ابها الشاب .. خفف الخطوة بقدر
ما نستطيع لاننا الآن فى جوف الغابة ..

الفصل التاسع

الصيد

وهمر الصياد العجوز نجاة وهو يجلب قنوسه ليخفي
وجهه :

- لقد حطت بطة على قصن شجرة قريب . . اخف وجهك
بقمعك ابها الشاب . . واستعد ان البط يخاف من وجوه
الرجال .

وكان اولئين يسر وراء ابروشكا . . وما أن سمع تحذيره حتى
توجىء بدوى طلقة ناربية ارسلها الصياد العجوز من بندقيته . . واذا
يلدكر بظق بناهوى قنبلا على مسافة غير بعيدة ، واذا الكلب ليا
يسرع ليلتقطه . وفيما كان اولئين يقرب ، اذا به يرى ذكر بة
آخر يحاول الهرب . . قصبوب اليه بندقيته واطلقها عليه . . واصا
تمى مقتل .

وصاح الرجل العجوز ضاحكا :

- مرحى . . مرحى *

والتقط الطنين في ابتهاج ، وسار الاثنان سعيدين ، وراحا
يتبادلان الحديث بمودة ، وقد اقتبسط اولئين بعبارات المدح التي كان
يسمعا من الصياد العجوز .

وقى منعطف داخل الغابة .. قال ابروشكا!

- انتظر لحظة .. لسوف نمضى الآن فى هذا المر ، لاننى رايت
هناك يومين آثار بعض الطباء .

وصاروا لى معمر كثيف الشجر ، وبعد مسيرة مائة باردة . وصلا
الى صاحبة ذات عشية وماء ، وشاهد اولتين . الذى كان يسر لى
المؤخرة - الصياد المعجوز وهو ينحنى على الارض ويفحص بعض
الآثار ، ثم يشير الى آثار اقدم بشرية ويقول !
- امرئ !

فقال اولتين بصوت خافت !

سلم .. انها آثار اقدم بشرية .

وخطر بباله ان الآثار قد تكون لافدام بعض النتر المخشيين لى
الغابة استعدادا للاغارة على القرية ، ومن لم بدأت المخاوف تنوشه
ولكنه فوجئه بابروشكا بقول له !

- انها اقدمى انا .. وهى تكاد تختفى تحت آثار حوافر بعض
الحيوانات البرية .. وهذا يعنى ان هذه الحيوانات قد مرت من هنا
هناك عهد قريب .

وفجأة سمعا صوت حيوان ينطلق من مخبئه ويشق النبات
الكثيف فى طريقه ، وسرعان ما اعدا بندقيتهما للانطلاق . ولكنهما
لم يريا شيئا ، وانما سمعا فقط دققة حوافر حيوان يندفع بعيدا
عنهما .

وقال الصياد المعجوز وهو بكشر عن آتيابه فر غيظ !

- انه وهل كبير القرون .. لاشك انه كان واقفا فى مخافر بيتي
لكيف قفلنا عنه .. بالفرصة الضائعة .. ما أشد حمانى .

وبدأت الشمس تميل نحو الغروب ، عندما اخذ اولتين مع
الصياد المعجوز فى العودة الى الكوخ ، وبرغم ماكان يشعر به اولتين
من تعب ووجوع ، فانه كان متبهجا سعيد النفس وهو يرى مرة

أخري الجبال البعيدة ؟ وما ربانكا تروح وتقدو قى الفناء ، والصيد
ايروشكا لا يكف عن سرد مغامراته ايام الشباب .

وفي صباح اليوم التالي ، ذهب اوتين الى الغابة ، للصيابة
بمفرده . . لم يشأ ان يصحب مع الصياد العجوز . وسان فوراً
الى البقعة التي هرب منها الوعل في اليوم السابق ولكنه لم يجد
له اثر . . فانمطف الى مكان آخر في قلب الغابة ، وسرمان ما رأى
عددا من البط يحاول الطيران بعيدا ، فاطلق عليه بندقيته بسرعة
وفي طلقات سوائية مما جعله يستطيع اسقاط خمس بطات . .
وادرك ان ايروشكا العجوز ابي ان يسير به الى هذا المكان الراخن
بالبط ، حتى يحتفظ بسره لنفسه .

وهند الظهيرة ، كان التعب قد حل به ، فالتقط بظاته الخمسة ،
وشرع يسير في طريق العودة . . ولكن الساعات اخذت تمر وهو
لا يجد متفلا يخرج به من الغابة . وادرك انه ضل الطريق . . وان
من الممكن ان يقضي بضعة ايام وليال وهو سجين داخل غابة لا يعرفه
معالمها ومع كل خطوة كانت مخاوفه تزداد . . ونسى تعبته . .
وراح بحث الخطو وهو يحاول ان يعرف طريقه من اتجاه الضوء
ولكن عشا كانت محاولاته لقد خيل اليه ان كل خطوة بخطواته تضي
به الى قلب الغابة بدلا من خارجها . . وبدأ الظلام يكسو الجو . .
وازداد احساسا بالضياء . . وراح تتمتع بالدهاء ؛ ولما اظلم الجوى
يقن انه سوف يقضي الليل بمفرده داخل غابة زاخرة بالوحوش
والحيوانات البرية . ومن يدري . . فلعله يلتقي حتفه في هذا المكان
الموحش . . ولعل حيوانا برياً يلتهم جسده ولا يترك الا عظامه لكي
تنمو فوقها النباتات . ولكنه ابي ان يستسلم لليأس ، فراح يمشي
على غير هدى والامل براوده في انه سوف يجد نفسه فجأة خارج
الغابة في طريق معروف .

ولحقق لامل في لحظة وانا هو : في ظلام الليل ، سمع
لصوات جماعة من جنود القوراق يتحدثون ويضحكون في مكان

اقرب . واسرع نحو مصدر الاصوات . . . ومالبث ان رأى مياه نهر
هيريك تلمع فى شفق المساء ، والهضبان على الضفة الأخرى تمتد
الى الأفق البعيد وبعد مسيرة خطوات أخرى ، رأى برج المراقبة
أقى المخفر يرتفع امامه ، وشاهد جوادا يرمى المشب فى مكان قريب
منه ، كما لمع عددا من الجنود واقفين يتحدثون ، وبينهم ليو كبقامته
الطويلة ، يتبادل معهم الحديث والضحكات .

وخامر اولئين احساس عميق بالسعادة . . . لقد ادرك انه وصل
الى مخفر نيزن - برونسك على نهر تيريك فى مواجهة القرى التترية
على الضفة الأخرى من النهر .

وتهد فى ارتياح عندما وصل الى احد الاكواح المخصصة
لاستراحة فى المخفر . . . ورد الجنود عليه التحية بلا اهتمام ، لانه
كان اولاً يدخل سبجارة ، وقد اعتاد القوزاق ان يحتقروا مدخني
السجائر ، ولانهم كانوا من ناحية أخرى مشغولين بأمور أكثر
أهمية .

كانوا فى تلك الليلة يستعدون لاستقبال جماعة من التتر الذين
قرروا الحضور لافنداء جثة مواطنهم الذى قتل بيد ليوكا . ومن
ثم كان الجنود القوزاق فى حالة انتظار وصول قائد الحامية من
القرية ليقوم بالمفاوضات مع جماعة التتر .

ولم تمض غير لحظات حتى وصل الوفد التترى برئاسة شقيب
القتيل ، وكان رجلا قوى البأس ، قصير الشعر ، مصبوع اللحية
بالحناء شديد الشبه باخيه القليل ، وبعد ان تبادل التحية القصيرة
مع حراس المخفر ، جلس فى هدوء دون ان يتنازل بالنظر الى احد
أو حتى الى جثة أخيه . وانما ظل جالسا يدخل متبغىه القصير . . .
ويصق على الأرض ، ويدمدم بكلمات غامضة كان زملاؤه يصوتون
اليها باهتمام . وكان الواضح انه واحد من الذين التقوا فى معارك
كثيرة مع الجنود الروسيين ، ومن ثم لم يكن فيهم ما يثير اهتمامه
أو يشرعى نظره .

وكاد اولئين ان يعضى ويلقى نظرة على جثة التترى القليل ، ولكن
شقيقه دمدم بعبارات حادة وقد ارتسم الاحتقار المزوج بالفضي

على وجهه ؟ مما جعل أحد الحراس يسرع ويلقى بطرف الفلكاه على وجه الجنة ، وتائر أولنين بهيبة التتري الباسل ، وحاول أن يتحدث معه لیساله من ابن جاء ، ولكن الرجل نظر اليه في احتقان ثم بصق على الأرض ، ولم يتس أولنين ، وإنما استدار الى المترجم الذي جاء مع الوفد ليقوم بترجمة الاحاديث بين التتر والقوزاق ، وراح يتحدث اليه بعد ان قدم اليه بضع سجائر .

وقال المترجم التتري باللغة الروسية الركبة .

– انهم خمسة اخوة . وهذا القنيل هو ثالث ضحية على ايدي الروسين من هؤلاء الاخوة ولم يبق الا اخوان فقط .

ثم اشار الى التتري الباسل واردف قائلا :

– ان هذا الاخ شجاع . . شجاع جدا ، له قلب اسد . . وقد كان مخبئا بين الأشجار على ضفة النهر عندما قتل اخوه وهو يحاول هبور النهر للاسكناف . وقد شاهد كل شيء بعد ذلك . شاهدهم وهم يخرجون جثة اخيه من الماء . . وهم يضحكون وقد اراد ان يقتحم صفوفهم ويقتل عددا منهم ، ولكن زملاءه منعه .

واقبل ليوكا وجلس بجوار المترجم وساله قائلا :

من اية قرية هو . .

فاشار المترجم الى الهضاب الممتدة وراء ضفة النهر . . ثم

قال :

– من قرية سوبوكرسو . . على مسافة لعانية اميال .

– هل تعرف رجلا كبيرا يدعى جيرى – خان . . انه من اهالى

محافظة سوبوكرسو . . انه صديق لى .

– انه ايضا جار لى .

وهنا بدا الاهتمام على ليوكا ، فراح يتحدث مع المترجم باللغة

التترية .

وبعد لحظات اخرى ، وصل فائد الحامية من القرية ، ومعه

السيخها والنان من امياتها وكانوا جميعا على متون البجيات . . وحيا

القائد الجميع بيده ، ولكن الجنود لم يهتقوا - كالمعتاد - بعبارات
التحية ، وإنما احتوا رهوسهم ، على حين وقف عدد منهم وبينهم
ليوكا ، وقفه عسكرية وأعلن الجاوبش أن كل شيء على مايرام ،
وسرعان ما اتخذت الاجراءات الرسمية ، وكتب المعاهدة وتسلم
القائد الفدية ، وتقدم شقيق القنيل وزملاؤه لاستلام الجثة .

وقال قائد الجنود وهو بدير عيبيه في الحراس :

- من منكم يدعى ليوكا جافريلوف ؟ .

فرفع ليوكا فلتسوته وتقدم من قائد الحامية قائلا :

- اننى نحت امرك ياسيدى .

فرمقه القائد بامعان وقال :

- لقد ارسلت تقريرا الى الكولونيل ، ولا ادري ماذا تم بشأنه .
وطالبت فى التقرير ان تمنح وساما لانك اصغر سنا من ان ترقى
الى رتبة جاوبش ، هل تعرف القراءة والكتابة .

- لا ياسيدى .

- ولكنك فتى شجاع . وكنت اتمنى لو انك تعرف القراءة
والكتابة . . حسنا . . ضع فلتسوتك على راسك .

ثم استدار القائد الى بعض الحراس وقال :

- ساعدوا هؤلاء ، التتر على حمل الجثة .

وعاد ليوكا وجلس بحوار اولئين وهو مشرق الوجه بالسعادة .
وبعد ان فرغ الجنود من حمل الجثة الى القارب - ولب شقيق
القنيل اليه ، ثم استدار ودار بعينه فى وجوه حراس المخفر وهو
يتحدث الى المترجم اندى اشار الى ليوكا .

وظل شقيق القنيل مركزا نظراته على ليوكا كأنما يحفر صورته
فى ذهنه . ولم تكن فى نظرائه هذه اية معان للحقد او الغضب ،
وانما كانت احتقارا حالصا .

وبعد أن هذا كل شيء ، قال ليوكا لاولين الذين كان يدخن
سيجارة :

- لماذا تدخن .. ان التدخين عادة سيئة وصارء للصحة
فرد اولين قائلاً :

- انها مجرد عادة .. لماذا نسال ؟.

- لالشيء .. انتا مكر ومط فيما يمكن ان يحدث لو ان احدا منا
نحرق القوراق بدا يدخن .. حسنا .. كيف استطعت ان تعرف الطريق
الى هنا عبر الغابة ؟.

فضحك اولين وقال :

- الواقع اني ضللت الطريق .. وقد جئت اليكم بمحض
المصادفة .

- وهل تعرف كيف تعود ؟.

- لا .. مطلقا ..

- اننى على استعداد لان اصحبك .. يمكنك ان تطلب هذا
من الجاويش ..

وقال اولين لنفسه :

- ما اجمله من فنى ؟.

ثم تذكر قبيل سريانة له بالقرب من مياح البيت .. وعاد يقول
لنفسه « ما هذه الحماسة والفاء .. هاهو ذا شاب قتل رجلا بسلا
ومع ذلك يشعر بالسعادة والفخر وكأنه قام بعمل جيد كيف لم
يستطيع ان يدرك انه ليس هناك قط ما يدعو الى كل هذا الزهو
وهذه السعادة ؟.

وقال احد الحراس وهو مود من سفة النهر :

- كن على حذر باليوكا . ألم تسمعه وهو يسأل عنك انه لن
يستريح حتى يثار لاجبه منك .

قرفع ليوكا رأسه وقال بصوت نهم من الثقة بالنفس !
- اذا حاول أن يضع قدمه في هذه الناحية ، سيكون مصيره
هضم أخيه نفسه .

وهز الحارس كتفيه وقال :

- ان هذا التتري كما يبدو لي شديد اليأس .. عليك أن تأخذ
حذرك من الآن فصاعدا أيها الزميل .

فارسل ليوكا ضحكة عريضة وقال :

- عليه ان يحمد الله اذ عاد الى قريته سالما .

وعندئذ سأل اولئين قائلا :

- لماذا انت سعيد الى هذا الحد .. ماذا يكون شعورك لو ان
أخاك هو الذي قتل ؟

فنظر ليوكا الى اولئين بعينين ضاحكتين وقد فهم مقصده
ومن ثم قال ببساطة :

- ان هذا يحدث دائما .. الا بغير هؤلاء التتري علينا بين الحين
والآخر ويقتلون اخواننا لنا .

الفصل العاشر

الهدية

وانصرف قائد الحامية وشيخ القرية . وقرر اولنين ان يرضى ليوكا ويتيح له فرصة زيارة القرية . فطلب من الجاوش ان يسمح له بمرافقة ليوكا في طريق العودة . وكان يعتقد ان الشاب يريد العودة الى القرية ليرى ماريانكا . ولم يتردد الجاوش في اجابة اولنين الى طلبه .

وفي اناء عودتهما الى القرية قال اولنين لنفسه :

« ان ليوكا بحب ماريانكا . وقد كان من الممكن ان احما اننا ايضا . ولكن من واجبي ان افصح الطريق لتنمية هذا الحب بين العاشقين » .

وقمره احساس بالعطف على ليوكا وماريانكا . وكان ليوكا يشعر بالعمادة الكاملة وهو يسر بحوار هذا الشاب الروسي الرقيق الذي احس نحوه بصدافة مفاجئة . . وكان هذا الشعور المشترك يجعل الاثنين برغبان في الضحك كلما التقت نظرتهما .

وقال اولنين وهما يقتربان من احدى البوابتين :

— اي هاتين البوابتين اقرب الى المكان الذي تريد الذهاب اليه .

أورد ليوكا قائلا:

- أتى سامضى معك الى اقرب مكان لمسكنك .. لا نخشى
كشيئا .

فضحك اولتين وقال:

- أتى لست خائفا ولكننى لا اريد ان انقل عليك .

- لا .. لا .. مطلقا .

- حسنا .. هل يمكنك ان تنزل ضيفا عني لتشرب معى كاسا
من النبيذ الاحمر ؟

- ان الجاوش طلب منى ان اعود الليلة

- حسنا .. يمكنك ان تعود بعد ان يجلس ويتبادل الحديث
وتشرب كاسا من النبيذ معا .

وبعد برهة سمعت قال اولتين

- لقد سمعتك امس تفتى .. ورايتك ..

- آه .. اننا بشر .

فاوما اولتين براسه لم تال:

- هل حقا تنوى الزواج كما سمعت ؟

- ان امى تريد هذا .. ولكننى لم اشك جوادا بعتا .

- الست جنديا فى الجيش العامل ؟

- لا .. انى التحقت بالجيش منذ عهد قريب . وليس لى حق
فى الحصول على جواد من الجيش لان . لست ادرى كيف يمكننى
الحصول على واحد منها . اتنى لن استطيع ان اتزوج قبل ان يكون
لى جواد .

- كم تمن الجواد ؟

فصمت . وك برهة قبل ان يرد قائلا:

كنا نتحدث عن شراء جواد لى امسة الاخرى من النهس
وقد قيل لى ان اقل تمن الجواد لى ادى هو سجين روبلا .

وتجاة قال اولئين !

- ما رايبك لو التحقت بخدمتي واصبحت مراسلة لى ؟ اتنى
استطيع ان ارب الامر مع قائد الحامية وسوف اعطيك جوادا لان
لدى جوادين .. وبمكنتى الاستغناء عن احدهما .

فضحك ليوكا قائلا :

- ماذا تعنى بهذا ؟ ولماذا تقدم الى مثل هذه الهدية ؟ .. ان
قوى مقدورى ان احصل على جواد بوسيلة ما .

وارتبك اولئين قليلا .. لقد اراد ان يقول شيئا ، ولكنه لم
يعرف ماذا يقول . واخيرا غمغم قائلا .

- الا تريد ان تكون مراسلة لى ؟

- لا ..

- حسنا .. ولماذا لا تريد ان تقل جوادا هدية منى !.

وبعد برهة صمت .. قال ليوكا :

- الدبك بيت فى موسكو !.

ولم يجد اولئين مقرا من ان يقول له ان لديه عددا كبيرا من
البيوت فى موسكو .

وعندئذ قال ليوكا :

- بيوت اكبر من بيوتنا ؟

- نعم .. اكبر جدا .. ارتفاع كل بيت يزيد على ثلاثة طواقم ..

- وهل لديكم جواد مثل جوادنا ؟

- ان لدى مئات من الجياد .. كل واحد منها يساوى لثماننة

او اربعمائة روبل فضى .. ولكننى احب جيادكم .

وبعد مسيرة خطوات اخرى فى صمت . قال ليوكا :

- وما الذى جاء بك الى هنا ؟ هل جئت بمحض ارادتك ، ام

امرغمتك احد على المجرء ..

ثم أشار الى منعطف في ممر الغابة وأردف قائلاً :

- انرى .. هاهو ذا المكان الذى ضللت فيه طريقك .. كان
يجب ان تحرف الى اليمين بدلاً من اليسار .
ورد أولنين على سؤاله قائلاً :

- لقد جئت بمحضر رغبتى .. ردت أن ارى بلادكم وان اشترك
فى بعض الحملات العسكرية .

- آه .. لشدما اتمنى لو استطعت الاشتراك فى هذه الحملات
يوماً .. أسمع عواء هذه الذئاب ؟

- أخبرنى يالبوكا .. ألم تشعر بالرهبة وانت تقتل رجلاً .

- الرهبة ؟ لماذا ؟ وكيف 'شعر بالرهبة وأنا اريد الاشتراك فى
أحدى الحملات العسكرية . أرجو أن تتيح لى هذه الفرصة
يوماً .

فهر أولنين كنفه وقال :

- من يدرى .. فربما اشتركنا معا فى إحدى هذه الحملات
قبل الاحتفال بالعيد .

- اننى على كل حال لا اكاد أهرق سبباً يبرر مجيئك الى هنا .
أن لديك جبادك ، واملاكك ، وعمال مزارعك . لو كنت مكانك : لما
مركت هذا كله لأعيش فى مثل هذه البرارى البعيدة عن العمران ،
ما هى ربتك ؟

- اننى ضابط متطوع ، ولكننى مرشح للترقية قريباً .

وهز ليوكا راسه فى حيرة وقال :

- لتفرض انك صادق فيما تقول ، فلماذا جئت الاقامة هنا ،
أتنى لا اجد ما يبرر هذا التصرف ؟ هل انت مسرور بافامك معاً .
- كل السرور .

وكان الظلام كثيفاً عندما وصلا في النهاية الى القرية . وما
اكاد اولنين يصل الى الكوخ ، حتى اسرع الى المربط وعاد بجواد من
جواديه . . وكان قد اشتراه من مدنة جروزى بشمن زهيد . لانه
كان جوادا عاديا في العاشرة من العمر .

ولما قدمه الى ليوكا ، قال هذا فى دهشة بالغة :

- عجبا ! لماذا تقدم الى هدية نعيمة كهذه وانا لم افعل من اجلك
شيئا ؟ .

وكان اولنين فى تلك اللحظة يشعر بسعادة غامرة . . كان يشعر
انه سعيد فى هذه القرية القوزاقية . . وانه امسى جزءا منها ،
يحبها . ويحب أهلها ، ويحب ليوكا وكأنه يعرفه منذ الطفولة .

ولما كور الشاب عليه السؤال ، افاق من تفكيره وقال بصوت
هادى :

- انى لم افعل شيئا كبيرا ، ارجو ان تقبل هذه الهدية
المواضعه ولا شك ان الايام ستنجح لك الفرصة لتقدم لى شيئا
كبيرا . . ومن بدى . . فلعلنا نشارك معا فى احدى الحملات
العسكرية .

وارداد سمعوا ليوكا بالارباك . وعاد بقول دون ان ينظر الى
الجواد

- ولكنى لازل متدهشا . انك تقول انك لى غير حاجة الى
هذا الجواد . فهل يمكن ان يكون الانسان فى غير حاجة الى
جواد . . اى جواد ؟ .

- و . . ارجو ان تقبله . . انك اذا رفضت هذه الهدية
فسوف يخرح شعورى .

تم اردف قائلا لفانيوشا :

- قدم له الجواد . .

وقال ليوكا وهو يمسك بعنان الجواد :

- حسنا .. اننى لا استطيع ان امرت لك عن مبلغ سعادتى
بهذه الهدية ولكننى لا زلت مندهشا فاننى لم اسمع فى حياتى
بشيء مثل هذا .

وقال اولئين وهو يشعر بسعادة غلام فى الثانية عشرة من
عمره :

- اربط الجواد هنا . انه جواد طيب . لقد اشتريته من
بجروونى . هلم يا فانيوشا ..

احضر لنا بعض السيد .. واندخل معا يا ليوكا لنشرب ؟
وجلس ليوكا فى الكوخ . واقبل فانيوشا بالسيد ، وقال وهو
يرفع كاسه :

- اسال الله ان اتمكن يوما من رد جميلك .. ما اسمك
يا سيدى ؟

- اولئين دبمترى اندرفينش ..

- حسنا يا سيدى .. ليباركك الله ، ولكن اخوين مديق
الحياة . وارجو ان تكرم بزيارتنا يوما . اننا لا نملك كثيرا ،
ولكننا نعرف كيف نكرم اصدقاءنا . وسوف اخرج امى لكى تقدم
اليك كل ما تحتاج له .. من زبدة او عنب .. واذا حئت الى
المخفر ، فسوف اكون خادمك المطيع ، سوف اصحبك الى الصيد ،
او امضى بك عبر النهر او الى أى مكان تريد .

ثم صمت . ففكرا وعاد يقول :

- لو انك جئت البنا منذ ايام ، اجعلتك تشترك معنا فى صيد
الخنزير البرى الذى ظفرنا به ..

- شكرا جزيليا يا ليوكا ..

واقترب ليوكا براسه من راس اولئين وهمس قائلا :

- وهناك شيء آخر لعلك تريد ان تعرفه .. ان لى صديقا

تتربا يدعى جبرى خان . لقد طلب منى ان اذهب ذات ليلة لنظفر
ببعض الجياد البرية فى هضاب فوجاى . . فهل تحب ان تشترك
معنا فى هذه المغامرة . . لسوف اكون حارسا لك .

وربت اولنين على كتف ليوكا وقال :

- نعم . . نعم . . لسوف نذهب معا ذات يوم .

وتراخى ليوكا فى جلسته وكأنما شعر اخيرا انه يجلس مع
صديق حميم . وكان اولنين فى دهشة لباطنه وهو يتبادل معه
الحديث وفى النهاية ، وبعد ان لعبت الخمر براس الشاب
الفوزانى ، تهض وصافح اولنين منصرفا .

وبعد انصرافه ، اطل اولنين من نافذته ليرى ماذا سيجعل
الشاب ليوكا . . وكان هذا يعبر الفناء مطرقا ، حتى اذا
وصل الى البوابة ، فك عتبان الجواد ، ووثب على ظهوره فى خفة
القط ، وانطلق به راكضا فى طول الشارع ، وكان اولنين يعتقد
ان ليوكا سوف يذهب الى ماريانكا ويخبرها بامر الهدية وبانه قد
ظفر اخيرا بالجواد الذى كان لا بد له ان يحصل عليه قبل الزواج .
ولكن برغم ان ليوكا لم يفعل هذا ، فقد شعر اولنين بالغبطة
والرضا ، واحس انه سعيد تماما بنفسه وبالدينا كلها . . كان
سعيدا كالطفل . . ولم يستطع ان يملك نفسه من اخبار فانيوشا
بانه اهدى الى ليوكا جوادا ، ثم ذكر له السب فى تقديم هذه
الهدية ، وبعد ذلك راح يشرح نظريته عن السعادة ولكن فانيوشا لم
يستطيع ان يهضم هذه النظرية قائلا انه لايمك اموالا يلقى بها
هكذا فى الطريق .

ومضى ليوكا الى بيته ، وترجل عن جواده ، وسلمه الى امه
وطلب منها ان تذهب به الى جياد القرية ليرعى الغنم معها .
وكان عليه ان يعود الى المخمر فى الليلة نفسها . ولما علمت امه بامر
الجواد ، وكيف ظفر ليوكا به ، هزت راسها فى دهشة وهى تعتقد
لهى فرارة نفسها ان الجواد لا بد ان يكون مسروبا .

وعاد ليوكا في الطريق إلى المخفر وهو مستغرق في أفكاره حول تصرفات أولئين فبرحمهم أن الجواد لم يكن في رأيه يساوي أكثر من أربعين روبلا ، فانه كان سعيدا بهذه الهدية . ولكنه لم يستطع أن يجد سببا واحدا يبرر هذا التصرف العجيب وكان بسبب هذا العجز عن فهم سر الهدية لا يشعر بالشكر أو عرفان الجميل ، بل على العكس ، كانت الشكوك تملأ نفسه في نوايا أولئين . انه لا يعرف ماذا يريد أولئين منه ، ولا لماذا يقدم اليه هدية ثمينة كهذه وهو لا يكاد يعرفه !. ان احدا لم يسمع من قبل ان رجلا اهدى جوادا ثمنه أربعين روبلا لاسان قريب عنه . ولو كان أولئين مخمورا حين قدم هذه الهدية ، لالتمس ليوكا له العذر . ولكنه كان في تمام وعيه . اذن ليس هناك غير معنى واحد لهذا التصرف . وهو ان أولئين اراد ان يرشوه ليؤدي له عملا منكرا . . وقال لنفسه : حسنا . . اذا كان هذا هو هدفه فلا تخوف على . . لقد ظفرت بالجواد . وسوف ترى ماذا سيحدث بعد ذلك . اننى لست ساذجا ، وسوف ترى من هو الساذج منا . . انا ام هو .

وازداد احسانا بان عليه ان يحمي نفسه من نوايا أولئين الشريرة ، وهكذا تحولت مشاعره من الصداقة الى العداوة والنفور ولم يذكر لاحد كيف ظفر بالجواد . . قال للبعض انه اشتراه وراوغ البعض في الاجابة عندما سألوه . . ولكن الحقيقة انتشرت في انحاء القرية . ولما وصلت الى مسامع ماريانكا وامها وابيها وغيرهم من القوزاق بدعوا يتخذون حذرهم من هذا الروسي . ولكنهم برغم مخاوفهم كانوا يشعرون بالاحترام الشديد نحو هذا الروسي الكريم .

كان بعضهم يقول للبعض الآخر :

- هل سمعت بما حدث !. ان هذا الروسي الذى يقيم في

أخبرني أبا عبد الله الملقب بالعلامة قد أهدى جواداً لليوكا . . لا شك أنه واسع
الثراء .

ويورد عليه أحدهم قائلاً

- نعم سمعت . . لا شك أن ليوكا قد أدى له خدمة جليلة . .
لسوف نعرف الحقيقة يوماً . . وأيا كان الأمر ، فإن الحظ دائماً
يسمى في ركاب ليوكا . . الخطاف .

الفصل الحادى عشر

الرليمة

عاش أولنين فى القرية القوزاقية عيشة هادئة رتيبة . وكاد عمله فى المسكر لا يستغرق منه الا ساعة او بعض ساعة بين الحين والآخر . وكان المعتاد ان تطلق الحرية فى التصرف للضابط المتطوع فى الجيش اذا كان من الطبقة الثرية فى المجتمع . ومن ثم لم يكن معروفًا عليه ان يقوم بعمل معين او ان يشارك فى التدريبات العسكرية بعد ان اثبت جدارته خلال الممارك التى اشترك فيها مما جعل رؤساءه يطالبون بترقيته . ولهذا ترك وشانه فى سلام . وكان الضباط يعتبرونه احد افراد الطبقة الارستقراطية ، ومن ثم كانوا يتجنبونه ولا يشركونه معهم فى أسماهم والعابهم للورق وحلقات غنائهم . ولم يكن هو - من جانبه - يهتم كثيرا بهذا كله . كما كان أيضا لا يحدو حدوهم فى انطلاقاتهم بالقرية ، يعبتون ، ويغازلون العذارى ، ويتصلون بالنساء ، بل ويتزوجون أيضا . وكان أولنين يحب ان يحيا حياته الخاصة وان يتجنب الطرق المعتادة المطروقة . وكان ينبغ هذا التقليد فى حياته بالقرية القوزاقية .

وكان يستيقظ فى الصباح الباكر بطبيعته . وبعد ان يشرب الشاي فى الشرفة ويستمتع بمنظر الجبال والصبح

وماريانكا ، يرتدي سترته المصنوعة من جلد الثيران ويدس خنجره
فى حزامه ، ويحمل بندقيته وكيسه الصغير المحتوى على طعام
الغذاء والتبغ ، ويستدعى كلبه ويمضى بعد الخامسة بقليل الى
الغابات الممتدة وراء القرية وفى نحو الساعة مساء يعود متعبا
جائعا ، حاملا نحو ست أو سبع بطات برية الا انه من المستحيل
عليه ان يعرف فيم كان يفكر فى خلال رحلته اليومية هذه للصيد
هل كانت الافكار تدور بذهنه ، او الذكريات او الاحلام . فى بعض
الاحيان كان شىء من هذا كله يمر بذهنه مرا سريعا خاطفا ، فاذا
تنبه من خواطره سال نفسه عم كان يفكر فيه ؟ وفى بعض الاحيان
كان يظن انه كان يتصور نفسه مواطنا قوزاقيا يعمل فى الحقول
والساتين مع زوجته القوزاقية ، او تتريا يعيش فى الجبال ، او
وعلا بهرب من الصياد ، وفى خلال هذا كله كان لا يكف عن التلقت
حواله عسى ان يلمح بطة او غزالا او خنزيرا برييا .

وفى الامسيات كان الصياد ابروشكا ياتى ويجلس معه ، وكان
احيانا يحضر معه النيبلا الاحمر ، فيجلسان معا ويتبادلان الحديث
ويشربان حتى باوبا الى الفراش وفى الصباح يمضى الى الصيد
مرة اخرى وهكذا . وفى ايام العطلات والاعياد ، كان يمضى اليوم
كله فى الكوخ . وكان يشغل نفسه طيلة الوقت بمراقبة ماريانكا
وهى تقوم باعمال البيت المختلفة . ودون ان تشعر هى بنظرانه
الذى تلاحقها . وكان يتأمل الفتاة الحشاء ويحبها ، او هكذا
كان يظن ، كما يحب الانسان مناظر الطبيعة الجميلة ومن ثم لم
يخطر بباله ان تتطور علاقته بها الى اكثر من هذا . لم يخطر بباله
قط ان تقوم بينه وبينها علاقة مثل تلك التى كانت قائمة بينها وبين
القوزاقى ليوكا . وكان يشعر انه لو سار على نهج زملائه الضباط
وحول اعجابه بماريانكا الى غرام ، لجلب على نفسه - وربما عليها
ايضا - متاعب وآلاما ليس لها ما يبررها . هذا فضلا عن شعوره
العميق بان سلوكه هذا نحوها ينطوى على لون من انكار الذات .
مما اضفى عليه احساسا بالرضا والسعادة . ولكن اهم شىء فى
الموضوع كله انه كان يهرب ماريانكا ولا يجرو على ان يوجه اليها
كلمة حب . .

وقى يوم من أيام الصيف ، عندما كان أولنين جالساً بكوخه
لأنه لم يشعر بالرغبة فى الصيد ، أقبل عليه فجأة شاب كان قد
تعرف به فى إحدى الحفلات الساهرة بـموسكو .

وقال الشاب بمزيج من اللغة الروسية واللغة الفرنسية شأن
الطبقة الأرستقراطية يوم ذاك :

- أوه . . ما سعدنى بلقائك يا عزيزى ، ولشدهما كانت بهجتى
حين عرفت أنك تقيم هنا .

وصمت برهة قبل أن يستطرد قائلاً :

- لقد فىل لى أن أولنين هنا : احقاً ؟ أولنين ؟ ان هذا لشيء
مظيم ان أولنين من اعز اصدقائى . تصور كيف يجمع بيننا القدر
فى هذا المكان ! ماذا تفعل هنا يا عزيزى ؟ .

وكان الشاب هو الأمير بلنسكى ، وقد راح يتحدث فى اسباب
هن الظروف التى دفعت به للالتحاق بالجيش القوزاقى ، وعن
الوعود التى قطعها له قائد الجيش ليجعله احد ارکان حربه بعد ان
يتدرب على القتال فى مختلف المناطق العسكرية . وانثنى من هذا
الحديث الى الثرثرة عن الحياة الاجتماعية فى موسكو ، وعن مفاخراته
الفرامية التى لاحصر لها . وكان أولنين ينصت اليه فى ضيق شديد
لان كل شيء فى حديثه وتصرفاته كان يذكره بالحياة المتعنتة المنحلة
التي يحاول ان يهرب منها فى هذه القرية القوزاقية النائية . لقدنا
بدا له ، وهو ينظر الى بلنسكى وينصت اليه ، ان عالمه القديم الذى
يحاول الفرار منه ، قد لحق به فجأة . وشعر بالفضب من بلنسكى
ومن نفسه ، ولكنه لم يستطع ان يفعل شيئاً غير الجلوس والانصات
الى هذه الثرثرة المزعجة .

ولم ينصرف الأمير الشاب الا بعد ان جعل أولنين يعده بالزيارة
بين الحين والآخر . ولكن أولنين كان فى قرارة نفسه قد ازمع
ان يتجنب بلنسكى بقدر الامكان . أما فانيوشا ، فكان سعيداً بهذه
الزيارة ، لانها اعادت اليه شيئاً من حياته الحافلة فى موسكو .
وانغمس بلنسكى فوراً فى الحياة بالقرية القوزاقية كاي ضابط

شباب واسع الثراء وما أن مضى شهر حتى أصبح كأنه واحد من أهلها ، يعرف الجميع ، ويعرفه الجميع ويقدم الخمر للعجائز من الرجال ، وهدايا الأسلحة للشبان ، والحلوى والمطارف للعداري والنساء ويقم على نفقته الولائم وحفلات الشاي التي كان يدعو إليها عداري القرية وكن يدعوونه - لسبب ما - بكلمة « بايا » . وكان طبيعيا أن يفدو موضع أعجاب وحب الجميع . على حين كان الجميع ينظرون إلى أولتين المنطوي على نفسه نظرهم إلى مخلوق شاذ .



كانت الساعة الخامسة في بكور الصباح ، وكان فانبوشا يوقد النار في الغناء تحت ابريق الشاي وقد جعل من حدانه الطويل منفاخا لاضرام النار . وكان أولتين قد مضى لسنح مع جواده في نهر تيريك اذ كانت السباحة احدى هواياته . وكانت ربة البيت العجوز اولتيكا مشغولة باشعال الفرن لاعداد وجبة الافطار . اما مارياتكا ، فكانت في حظيرة الماشية تحلب اللبن .

وبعد لحظات سمع الجميع دققة حوافر جواد في الشارع ، وما لبثت أولتين ان دخل الغناء معتليا صهوة جواده الجميل المتألق بالماء ، واطلت مارياتكا براسها من الحظيرة ، ثم عادت إلى عملها . ولكن أولتين ظن انها لا تزال تختلس النظر اليه فشعر بالرهو والاختيال ، وخيل اليه انها تختلس النظر إلى جواده الفاخر ، وإلى ملابسه الأنيقة ، وإلى مظهره العام الذي يجمع بين فتوة الشباب، وكرم المحتد ، ووفرة المال .

وصاح بلهجة طروب قائلا لفانبوشا :

- الشاي يا فانبوشا .. وبسرعة .

وقبما هو يدخل الكوخ ، نظر بسرعة إلى باب الحظيرة ، ولكنه توجس بمارياتكا لا تنظر اليه .. وانما كانت مستغرقة في حلب الأبقار .

وبعد أن شرب الشاي وتناول الافطار ، جلس في الشرفة وبين يديه كتابه ، ولكنه لم يستطع أن يقرأ فيه سطرًا ، لأنه راح برقيب

ماريانكا ، بعد ان ذهبت بالابقار والجاموس الى المراعى ، وعادت لتقوم باعمال البيت ، وبتأمل كل حركة ومسكنة منها وكانت هي تختلس النظر اليه بين الحين والآخر وتلتصع فى عيها نظرة الفناء المزهرة بجمالها .. الشاهرة بتأثير هذا الجمال على قلوب الرجال وفجأة افيل بلنسكى فى ملابس ضابط بالجيش القوزاقى وقال لأولئين محبياً :

- طاب يومك يا صديقى العزيز ؟.

فصافحه اولئين قائلاً :

- طاب صباحك يا بلنسكى .. ما الذى دعاك الى الاستبقاظ فى هذه الساعة المبكرة !.

- ليس الامر بيدي .. لقد ايقظونى مبكراً للاستعداد لحفلة العشاء الليلة فى بيت اوستنكا .. هل ستأتين ياماريانكا ؟.

ودهنس اولئين حين رأى بلنسكى يتحدث الى ماريانكا وكأنه مرفها منذ مدة طويلة ، على ان ماريانكا تركت الفناء ، وكانها لم سمع شيئاً ، وانجبت نحو حظيرة الأبقار .

وصاح بلنسكى قائلاً :

- هل تشعرين بالخجل منى بافتاتى الجميلة ؟.

لم اردف قائلاً لأولئين !

- الواقع انها تشعر بالخجل منك انت يا اولئين .
وقال اولئين :

- ماهذه الوليمة التى تتحدث عنها يا بلنسكى ؟.

- ان اوستنكا ستقيمها الليلة فى مسكنها ، على نفقتى طبعاً .
وسوف يحضرها عدد من عذارى القرية ، وسناكل فيها الوانا من الطعام القوزاقى الشهى .. وقد جئت لادعوك .

وقال اولئين :

- ولكن ماذا سنفعل فى هذه الوليمة ؟.

وتعزم بلنسكى بعينه وهو يرمىء الى حظيرة الأبقار ، واضطرم وجه اولئين وقال وهو يهز كتفيه :

- انك شاب قريب الاطوار يا بلنسكى .

- اوه .. دعك من المراوغة وصارحنى بالحقيقة .

وقطب اولنين بجيينه ، واكن بلنسكى ابتسم فى مكر وقال :

- هلم صارحنى ؟ هل تريد ان تقول انك لا .. لا تستمتع
بوقتك مع فتاة جميلة كهده .. وانت تسكن معها فى مكان
واحد ؟ .

ولما صمت اولنين ، قال بلنسكى كأنما يحدث نفسه :

- انها انموذج للجمال الكامل .

- نعم .. انها جميلة الى حد مذهل يا بلنسكى .

- حسنا .. وماذا بعد ؟

- ربما تدهش يا بلنسكى حين تعرف الحقيقة . انى منذ اقيمت
هنا لا اهتم بالنساء ولماذا اهتم بهن والفوارق بينى وبينهن ضخمة ؟
أما ابروشكا الصياد العجوز ، فالامر معه يختلف .. اننا نشترك
معا فى هواية الصيد .

فقال بلنسكى ضاحكا :

- ولكن الامر معى يختلف . ان النساء فى نظرى هن النساء
فى كل مكان وفى اى مكان .. المرأة هى المرأة ، سواء فى موسكو
أو فى القوزاق .

فهز اولنين رأسه وقال :

- لا يا عزيزى ، انى لابعث بالنساء فى موسكو ولكننى
لا احترمهن .. أما نساء هذه القرية فانى أشعر نحوهن بالاحترام
الكامل .

- حسنا .. استمر فى احترامك لهن .. ولن يمنعك احدا

ولم يجب اولنين . وكان يبدو عليه انه يريد الاستمرار فى
الاعراب عن رايه بالنسبة للمرأة القوزاقية .. ومن ثم استطراد
يقول :

- اعرف اننى شاذ فى تصرفاتى امامك . ولكن الحياة هنا
جعلتنى اعتنق مبادئ معينة اهمها الحرص على احترام نفسى

واخترهم غيرى ، وهذه المبادئ تملأ قلبى بالرضا والغبطة . ولو
أنتى سرت فى طريقك . لفقدت هذا الشعور بالسعادة . وعسا
هذا فانا اطلع الى شىء مختلف ، وقد وجدت هنا لونا مختلفا من
الوان الحياة وهذا مالا تراه أنت .

ورفع بلنسكى عينيه فى عجب وقال :

- على كل حال ارجو ان تحضر الوليمة الليلة وستكون ماريانكا
معنا . وتاكدا انى سأعرفك بها . وارجو الا تتخلف . ويمكنك ان
تنصرف فى اى وقت اذا شعرت بالملل . . فهل ستأتى ؟ .

- نعم . . ولكننى اصارحك بانى أخشى على نفسى من الوفوع
اقى الحب .

فضحك بلنسكى عاليا وقال :

- اها ! سوف ارعك واحرسك . . فهل ستأتى ؟ .
- ساحاول . .

- اوه . . ما هذا يحق السماء ! لماذا تعيش هنا كالراهب
يوالوتين ؟ ايليق ان ترهب فى قرية زاخرة بالجميلات المائات ؟ .
لماذا تفقد حياتك وتحرم نفسك مباحجها ؟ هل سمعت ان فرقتنا
سوف تنتقل الى نوزدشك .
فرد اولتين قائلا :

- لا لم اسمع ! وانما سمعت فقط ان الفرقة الثامنة هى التى
هتنتقل الى هناك .

- لقد تسلمت رسالة من رئيس اركان القيادة العليا بخيرنى
اقبها ان فرقتنا سوف ترسل الى ميدان القتال فى نوزدشك . وانى
سعيد بهذا ، لانى ضقت ذرعا بحياة الخمول والركود هنا .
- لقد سمعت اننا نستعد للقيام باغارة قريبة ا .

- اننى لم اسمع بهذا ، ولكننى علمت ان كردنوفزن نال وسام
القدسية حنة لحسن بلانه فى الاغارة السابقة . وكان المسكين يمشى
ان برقى الى رتبة بوزباشى . . ومن ثم ذهب الى قيادة الجيش .
واسنمر بلنسكى فى الشرثرة حتى انصرف .

وعند اقتراب المساء ، تحولت أفكار أولئین الى الحفلة التي دعاه اليها صديقه الامير . واستبدت به الحيرة . كان يريد ان يذهب وكان في الوقت نفسه يخشى ان يبدو مغربيا منظوبا على نفسه . . وكان يعلم ان مثل هذه الحفلات لا يحضرها الرجال أو النساء والعذارى ، وإنما العتيات فقط . فكيف ستكون وكيف سينصرف خلالها . . وماذا سيقول ، وعن اى شيء سيدور الحديث وكيف سينصرف مع هؤلاء العذارى القوزاقيات الوحشييات واذا حضرت ماريانكا . فماذا يقول لها ، وكيف سينصرف معها ، ايمكن ان يوطد علاقته بها رغم نفورها منه . ان بلنسكى يؤكد له ان المرأة هي المرأة . . في موسكو ، او في القوزاق ، فهل يذهب ليرى مقدار ما في هذه الآراء من حقيقة ؟ .

وخرج من الكوخ مرتديا اجمل ملابسه . ولما وصل في مسيره الى بيت بلنسكى لم يسمعه الا ان يدخل .

وكان كوخ بلنسكى يشبه تماما كوخ أولئین . كان يقوم على دعائم خشبية يرتفع عن الأرض نحو خمس اقدام ، ويتكون من غرفتين الاولى تحوي - كما لاحظ أولئین عند دخوله - على حشاي من الريش ووسائد وسجاجيد منسقة في جوانب الغرفة بلدوق جميل ، وعلى الحدران راي الاسلحة ، والاولاني النحاسية معلقة ، وتحت احدى الارائك شاهد كمية من البطيخ والشمام . اما الغرفة الاخرى فكان بها فرن كبير ، ومائدة ، وأريكتان وبعض الاقنونات المطبقة بالوان زاهية . وكانت هذه الغرفة هي المخصصة لاقامه بلنسكى ومن لم يكن يرضع فيها سريره الصغير وحفائيه وحاجات السفر .

اما بلنسكى نفسه فكان راقدًا في سريره ، مرتديا قميصا وسراويل ، ويفرا كتابا فرنسيا . وما ان وقعت نظراته على أولئین حتى وثب وقال هاتفا مرحبا :

- آه . . لقد جئت ! انرى كيف امشيت يا صديقي ؟ لا بأس . . آه انى مسرور بحضورك . . وبهذه المناسبة اخرك ان الاستعدادات للحفلة قائمة على قدم وساق . ان العطاير القوزاقية شبيهة المذاق انها محشوة باللحم والرييب ، انظر الى مايجرى في كوخ أوستنكا

ونظر أولئين من النافذة ، وراى عددا من الفتيات يهرعن الى الكوخ وهن حاملات الاوعية والأواني واطباق الطعام والشراب .
وصاح بلنسكى قائلا هن :

- هل عددتن كل شىء ، يا بنات .

وردت اوستنكا قائلة :

- بعد لحظات اخرى .. هل « بابا » حائج .

ثم اقبلت الى غرفته بجسمها الممتلئ ، وقد شمعت عن مساعدتها لتحمل بعض الأواني .. ولما حاول بلنسكى ان يداعها ، راعته وهى تضحك قائلة :

- حذار يا « بابا » .. ان الأواني قد تقع من يدي .

ثم قالت لأولئين وهى مسررة « فى الضحك :

- يحسن ان تاتى وتساعدنا فى الإعداد . ولا تنس ان تحضر

معك بعض الحلوى للسات .

وكانت تعصد بالحلوى فطائر الزنجيل واليونون .

- وهل حضرت ماربانكا ؟

- نعم .. طبعاً .. وقد حضرت اثنا معها بعض المكسرات .

وقال بلنسكى لأولئين بعد انصراف اوستنكا :

- اعرف لو اننى جعلت اوستنكا برندى وتنزير على تعاط

النساء فى موسكو ، لبدت بهر واحمل منهن جميعاً . ارايت تلك

المرأة القوزاقية التى تزوجها الكولوبيل بورشيف انها اروع من ملكة

تقى جمالها وعظمتها .

فرد أولئس قائلاً :

- اننى لاعرف زوجة بورشيف ، ولكنى لاعتقد ان المرأة

القوزاقية تبدو احمل وابهر فى ملابس اخرى غير ملابسها الوطنية

هذه .

وتنهذ بلنسكى فى ارتباك وقال :

- اننى سعيد بقدرتى على التكيف مع أى لون من ألوان الحياة

بحسبنا لسوف اذهب وارى ماذا يفعلن .

ثم هض وقال وهو يسرع بالخروج :

- ولا تنس أنت أن تحضر معك الحلوى *
وقدم أولتين مبلغا كبيرا لجندي المراسلة الخاص ببلنسكى وطلب
منه ان يشتري كمية من فطائر الزنجبيل والبونبون ..
وساله الجندي قائلا :

- كم فطيرة زنجبيل اشتريتها وكم فطيرة بعسل النحل ؟
- اشترى اى عدد تشاء .
- هل انفق المبلغ كله ؟
- نعم .. كل المبلغ .
- وجلس أولتين الى النافذة يرقب مايجرى فى كوخ اوستنكا *

وكان يسمع من مكانه رنين ضحكات الفتيات وهن يتسابقن
للى اعداد الحفلة وقد ازداد ضحكهن عندما رآهن يطردن بلنسكى
من الكوخ . وعاد الشاب يضحك عاليا ويحدث أولتين بما فعله معهن
وبعد لحظات ، اقبلت اوستنكا بكل وفار ودعت الشابين الى الحفلة
قائلة ان كل شىء قد تم اعداده .

ولما دخلوا الكوخ الآخر ، وجد أولتين ان كل شىء قد تم اعداده
حقا .. كانت الحشايا والوسائد موضوعة بجوار الجدران فى
تنسيق جميل ، وكانت المائدة المنخفضة فى وسط الغرفة تحمل
اوعية التبيد والكثوس والفطائر المختلفة والوان من الاسماك المجففة
واللحوم الباردة . وفى ركن من الغرفة ، بجوار الفرن ، كان ثمة
صت فتيات فى ملابسهن الحريرية الزاهية ، وبلا عصائب على
رؤوسهن ، يتبادلن الاحاديث والضحكات .

وقالت اوستنكا لضيوفها :

- ارجو ان تشرفونى وتقدموا الى المائدة *

ولما رأى أولتين ماريانكا بين الفتيات - الجميلات جميعا - شعر
بالحرج الشديد ولم يدري ماذا يقول . ومرة اخرى احس انه غريب
فى هذا المكان . ولكنه قرر ان يقلد بلنسكى فى كل مايقول او يفعل
وتقدم بلنسكى نحو المائدة فى وفار ، ورفع كأسه ليشرّب نخيبا
اوستنكا ، ثم دعا الفتيات ليشربن معه . ولكن اوستنكا قالت ا

- ان التقاليد تمنع الفتيات من شرب النبيذ في هذه الحفلات
وهنا قالت الفتيات بصوت جماعي :

- ولكننا لا نجد بأسا من ان نشربه ممزوجا بعسل النحل! .

وفي تلك اللحظة اقبل جندي المراسلة يحمل لغائف كبيرة من
القطاير والحلوى ، واستقبلته الفتيات بالهتاف والترحيب ، وسرعان
ما اخذ اولتين يوزع عليهن هداياه ، وبعدها اخذت الفتيات والسابان
ياكلون ويشربون ويتبادلون الغزل والضحك .

ورغم هذا كله ، فقد ظل اولتين يشعر بالحرج والارتباك كلما
بلاقت نظراته بنظرات ماريانكا .

الفصل الثاني عشر

بشافر على صب ما يابجا

- قال بلنسكى لماريانكا بعد ان فرغوا من الطعام !
- ماريانكا .. كيف لم تتعرفى حتى الان بنزيلكم اولين ؟
فقال ماريانكا وهي ترسل نظراتها الى اولين !
- وكيف اعرف عليه وهو لم يحاول ان يزورنا يوما ؟
وجفل اولين واضطرم وجهه ..
وقال بلا تفكير !
- اتنى مازلت خائفا من والدتك منذ استقبلتني اول مرة ..
فانفجرت ماريانكا ضاحكة وقالت !
- اذن فانت خائف منها !
ثم استدارت عنه .
وكانت اول مرة يرى فيها اولين وجهها كله ، دون ان تخفى
بجانبها منه بمندبها ، ومن ثم ادرك فورا لماذا تسمى فى القرية ملكة
جمال النساء .
ولا استدارت عنه ، شعر بالضيق ، وقرر ان ينصرف ، ولكن
بلنسكى امسك بذراعه وقال له محتجا !
- الى اين يا صديقى ؟
فقال مراوغا :

• لاشترى بعض النبع •

- انتظر وسوف ارسل الجندي التابع لى لشراء ماتريد •

ثم همس فى اذنه قائلا:

- لانصرف الان .. لسوف نضع نقودا فى اناء اوستنكا الفضى

بعد كل كأس نشربها .. هذا هو التقليد المتبع .. لان الليلة عيد

ميلاد اوستنكا •

وقال اولين بنفس الصوت الخافت:

- خذ كل مالدى من نقود وضع فى انائها ماتريد بدلا منى • •

لقد شربت كفايتى •

- لا .. اذا انصرفت الان فسوف تكون موضع احتقار الجميع •

ولم يسع اولين الا ان يبقى ، والا ان يشرب النبيذ على الطريقة

القوزاقية المبعة فى مثل هذه الحفلات ، اى من حافة الوعاء الخشبى

الكبير مباشرة • وسرعان ما اتشى بالخمير ، فشى حرجه وارتبائه ،

وشعر بالرغبة فى الاندماج مع بقية المدعوين ومبادلتهم الحديث

والضحك •

وقال بلنسكى وهو يمسك بمعصم ماريانكا:

- هلمى يا ماريانكا .. لقد جاء دورك لتقدمى الينا الخمر

والقبل •

فتظاهرت ماريانكا بلكم بلنسكى على وجهه وهى تضحك

قائلة:

- هذه هى قبلايتى •

وقالت احدى الفتيات بصوت كتفريد البلابل:

- ان «بابا» مسموح له باخذ قبلة دون ان يدفع الثمن •

فامسك بها بلنسكى وقبّلها رغما عنها وهو يقول:

- اذن لايدا بك ايتها الحسناء الصغيرة •

ثم استدار الى ماريانكا واردف قائلا:

- هلمى يا ماريانكا .. قدمى كاسا لنزبلكم •

ثم امسك بيدها وقادها الى الأريكة التى جلس عليها اولين •

وجعلها تجلس بجواره ، ثم ادار وجهها بيده نحو صديقه وقال له:

- ألا ترى؟ اليس تتأمرنا للجمال؟

واستجابات ماريانكا لتصرفات بلنسكى، وراحت تنظر الى اولئين وهى تبسم فى زهو وكبرياء.

وعاد بلنسكى يقول:

- انها الجمال الكامل.

وكانت نظرات ماريانكا تقول بوضوح:

- « نعم .. ألا ترى الى اى حد انا جميلة؟ »

ودون ان يعرف ماذا هو قاعل، القى اولئين ذراعيه حول ماريانكا وحاول ان يقبلها، ولكنها تخلصت منه بسرمة. واندفعت نحو الفرن وصدمت بلنسكى واسقطت الكاس من يده. وارتفعت الضحكات الى جوانب الغرفة، وهمس بلنسكى شيئا فى اذان القتيات.

فاندفعن معه الى باب الغرفة واغلقنه ووقفن معه خارجه ليمنعن ماريانكا من الخروج.

وسال اولئين قائلا:

- عجباً! لماذا تسمحين لبلنسكى بتقبيلك ولا تسمحين لى؟

- ابنى لا اريد هذا .. وهذا كل شىء.

ثم قطبت جبينها ورفعت راسها واردفدت قائلة:

- انه « بابا » لنا جميعاً.

ثم اتجهت نحو الباب المغلق، وراحت تدق عليه بقيضتها وهى تهتف قائلة:

- لماذا تفلتن الباب ابنتها الشيطانات؟

وقال اولئين وهو يقترب منها:

- حسناً .. دعى الجميع خارج الغرفة .. ويكفى ان ابقى انا واثنتى لىها .. بمفردنا.

وَقَطَّبْتِ مَرَّةً أُخْرَى جَبِينَهَا ، وَدَقَعْتَهُ بَعِيدًا عَنْهَا بِقُوَّةٍ ، لَمْ وَفَّقْتِ
لِي كِبْرِيَاءَ وَتَحَدَّ مَا جَمَلَ أَوْلَيْنِ يَسْتَرِدُّ صَوَابَهُ وَيُخْجَلُ مِنْ تَصَرُّفَاتِهِ
وَرَمَضَى إِلَى الْبَابِ بِدِقِّ عَلَيْهِ قَائِلًا :

- بَلْسُكِي .. افْتَحِي الْبَابَ وَلِنَضَعِ جِدًا لِهَذِهِ الْحَمَامَاتِ .

وَفِجَاءَ أَطْلَقْتِ مَارِيَانَا ضَحْكَةً عَابِثَةً وَقَالَتْ :

- اذْنِ فَأَنْتِ خَائِفٌ مِنِّي !

- نَعَمْ .. أَنْكِ حَادَةٌ الطَّبَعِ مِثْلَ وَالدُّنْيَا .

- حَسَنًا .. اسْمَعِي مَا سَأَقُولُهُ لَكَ .. اسْتَمْرِي فِي انْفِاقِ وَقْتِكِ
أَكْلَهُ مَعَ الْمَجْرُوزِ ابْرُوشِكَا .. وَبِذَلِكَ سَوْفَ يَزْدَادُ حُبُّ الْبَنَاتِ لَكَ
يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ .

وَكَانَتْ قَدْ اقْتَرَبَتْ بِوَجْهِهَا مِنْ وَجْهِهِ ، وَرَكَزَتْ مَفْرَاهَا فِي عَيْنَيْهِ
وَهِيَ تَبْسُمُ . وَلَمْ يَدْرِ هُوَ مَاذَا يَقُولُ .

وَلَكِنَّهُ تَمْتَمَ مِنْعَمًا :

- وَلِنَفْرَضِ اُنْتِي جُنْتِ ذَاتِ يَوْمٍ لَزِيَارَتِكُمْ .. فَهَلْ ..

فَطَلُوحَتْ بِرَأْسِهَا وَقَالَتْ :

- اِنْ الْأَمْرَ عِنْدُنَا سَيُخْتَلَفُ .

وَفِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ فَتَحَتْ بِلْسُكِي الْبَابَ ، فَوُثِبَتْ مَارِيَانَا بِعَيْدِهَا
مِنْ أَوْلَيْنِ إِلَّا أَنَّهَُا احْتَكَّتْ بِهِ وَهِيَ تَبْسُمُ .

وَقَالَ أَوْلَيْنِ لِنَفْسِهِ بِسُرْعَةٍ :

« لَقَدْ كُنْتُ أَوْهَمُ نَفْسِي بِكُلِّ هَذَا الْحُبِّ بَيْنَهَا وَبَيْنَ لِيُوكَا .. إِنَّهُ
مَجْرُودٌ وَهَمٌّ لِأَسَاسٍ لَهُ .. وَعَلَى مِنْ نِيٍّ أَنْ الصَّرْفُ كَمَا سَبَقَ حَتَّى
لَا تَنْفَلِتِ السَّعَادَةَ مِنْ يَدِي . »

وَبِسُرْعَةٍ مَفَاجِئَةً لِلْجَمِيعِ ، طَوَّقَتْ مَارِيَانَا بِلِدْرَاعِيهِ وَفِي جَبِينِهَا
وَوَجْهِهَا ، وَلَمْ تَتَرَأَّجِعْ هِيَ ، وَلَمْ تَفْضَيْتِي . وَأِنَّمَا انْمَجَرَتْ ضَاحِكَةً

واسرعت الى خارج الفسحة لتنضم الى الفتيات وبذلك
انتهت الهرة .

* * *

قال اولئين لنفسه وهو في طريق العودة الى مسكنه ؟
- نعم .. اذا لم اقبض بيد من حديد على زمام موافقى ، فمن
المحتمل ان اتع فى شرك الحبيب مع هذه العذراء الفوزانية الساحرة .
واوى الى فراشه وهذه الفكرة تراوده ؛ وكان يتوقع ان يتلاشى
هذا الاحساس كله فى الصباح ، ومن ثم يستأنف حياته الهادئة
الرتيبة كما كان يفعل من قبل . ولكن هذا لم يحدث . لقد تطورت
علاقته بماريانكا ؛ وبدا كأنه الجدار الذى طالما فصل بينهما قد انهار ،
واصبح اولئين قادرا على ان يتبادل معها عبارات التحية كلما
التقى بها .

ولما قبل والدها لياخذ ايجار الكوخ ؛ وكان قد علم بشراء هذا
التزبل البسوط البد ، اسرع ودعا لزيارتهم . واستقبلتها الام
العجوز فى عطف وترحاب . ومنذ ذلك الحين اخذ يزور الاسرة
ويجلس مع افرادها حتى ساعة متأخرة من الليل . وكانت حياته
- ظاهريا - فى القرية لانكاد تختلف عما كانت عليه من قبل ، اما
فى الحقيقة ، او فى اعماق نفسه ، فكان كل شيء قد اختلف الى
بحد بعيد . كان يقضى ساعات النهار كل يوم فى الغابة ؛ ثم يعود
الى الثامنة الى مسكنه ، وبعد ان يفتسل ويفرغ من وجبة العشاء
يمضى لزيارة اسرة ماريانكا ، بمفرده أحيانا .. وأحيانا مع الصياد
العجوز ابروشكا . وسرعان ما تعودت الاسرة زيارته هذه بحيث
أذا تخلف ليلة ، سأل عنه الوالد ، او الواندة للأطمئنان عليه . وكان
كريميا مبسوط البد فى معاملاته ؛ وكان فايوشا يحضر اليه فى اثناء
زيارته للأسرة ؛ الشاى ، وكان هو يجلس فى ركن الفرفة على حشية
من الريش بجوار الفرن ، وكانت الام العجوز تضى فى عملها بلا
أفهاج .. ومع الشاى ، او النيلى ، كانت الأحاديث تدور حول
تقشون القرية او اخبار الجيران .. وأحيانا كان اولئين يجيب عن
أعسلتهم ويخبرهم بما يعرف من الحياة فى روسيا وفى احيان اخرى

أكان يأتي معه بكتاب ويقرأ . وكانت ماريانكا - كالغزال البرحي -
تقع في ركن آخر ، أو فوق القرن ، ولا تشترك في الأحاديث .
ولكن أولئین كان يری عینها ووجهها ويسمع حركاتها وقرقرتها للبع
القرع الصلى ، ويشعر أنها تنصت إليه بكل كيانها كلما تحدث .
أما كان يحس بوجودها دائما كلما راح يقرأ كتابا لنفسه ، وفي بعض
الأحيان كان يخيل إليه أن نظراتها مركزة عليه ، فإذا التقت عيونهما
سكن في موضعه وركز نظراته عليها ، وعندئذ كانت تسرع وتشبح
بوجهها في أرباك ، ويتظاهر بالاستغراق في الحديث مع الأم العجوز
وإن كان في الحقيقة مرهف السمع إلى كل حركة تبدو من ماريانكا
مستظرا أن تعيد النظر إليه لكي تتلاقى عيونهما مرة بعد الأخرى .
أذا حضر زائرون آخرون ، فإنها تخرج من عزلتها وتشترك في
الأحاديث والضحكات ، وتغدو ودودا طروبيا . وكان أولئین يشعر
بسماعة بالفة كلما رأى بريق الرضا يلعب في عينيها حين نلتقى به
تجاة في فناء الكوخ أو في القرية .

وكان هو لا يريد منها شيئا ، ولا ينظر أن ينال شيئا . . ولكن
أحاسه بأهمية وجودها في حياته كان يزداد يوما بعد يوم .

ومن ناحيته هو فقد غدا يشعر أنه اندمج في الحياة القوزاقية
اندماجا جعل ماضيه يبدو غريبا منه . وأما عن المستقبل ، فإنه لم
يكن يهتم إطلاقا بأي مستقبل خارج حياته في هذه القرية . ومن
ثم كان يشعر بأشد الاستياء والاستنكار كلما قرأ رسائل أهله
وأصدقائه إليه . . تلك الرسائل التي يكونه فيها ويعتبرونه مفقودا
أو ميتا ، هذا على حين كان يشعر في قرارة نفسه أن هؤلاء الأقارب
والأصدقاء هم المفقودون وهم الميتون ، لأنهم لا ينعمون بهذه الحياة
الراخرة بالأمن والسلام ، التي يحياها في القرية القوزاقية .

وكان دائما تماما بأنه ليس نادما على قطع كل الروشائح التي
تربطه بحياته القديمة . ذلك لأنه كان يستمتع بحياته العسكرية
وبالصيد في الغاية ، وبالحديث مع أيروشكا الصياد العجوز .
وبالقرب من ماريانكا .

انه هنا يزداد مع كل يوم احساسا بالحربة وبالرجولة .. وقتا
 ثبت له ان القوزاق يختلفون تماما عما كان يظن او يسمع . انهم
 ليسوا همجا او متوحشين ، وليسوا اشرارا او ابطالا .. وانما هم
 - كما عرفهم عن قريب - قوم يعيشون على الطبيعة - انهم يولدون
 ويموتون ، ويتزوجون وينجبون ، ويتحاربون ، ويأكلون ويشربون ،
 ويمرحون ويتبادلون الحب .. كل هذا دون ان يفرض عليهم من
 القيود اكثر مما هو مفروض على مظاهر الطبيعة .. على الشمس ،
 والقمر ، على العشب والطل ، على الزهرة والثمرة .. انهم لا يخضعون
 الا لقوانين الطبيعة .. ولهذا فهم - اذا قارنهم بنفسه - اجمل
 واقوى ، واكثر حربة ، وان النظر اليهم فيجعل اولئين بشعربالاسف
 على نفسه .. وكثيرا ما كان يخطر بباله ان يبيع كل ممتلكاته ..
 وينضم للجيش القوزاقى بصفة نهائية ويشتري كوخا جميلا ومزرعة
 كبيرة - وفتيحا من الماشية ، ويتزوج بفتاة قوزاقية « لا تكون
 مارياتكا التى بحبها ليوكا » ثم يمضى كل يوم مع ابروشكا لصيد
 السمك او الحيوانات والطيور البرية ، ويشترك مع القوزاقيين فى
 حملاتهم العسكرية .

وكثيرا ما كان يقول لنفسه :

- لماذا لا افعل هذا ؟ ماذا انتظر ، هل انا خائف من ان افعل
 الشيء الذى اراد معقولا وصوابا ؟ هل الرغبة فى ان اعيش ببساطة
 - مثل اى قوزاقى - فى حضن الطبيعة ، لا اؤذى احدا وانما اسدى
 الخير للجميع .. هل رغبة كهذه تعتبر عملا طائشا او املا سخيلا
 مثل امالى الصيانية السابقة فى ان اكون وزيرا او قائدا عاما
 للجيش .

ومع هذا كان يسمع فى قرارة نفسه صوتا يهمس له بوجود
 التريت فى انحاء مثل هذه الخطرة . وكان هذا الصوت نابعا من
 تفكيره فى انه لا يستطيع ان يحيا كما يحيا ليوكا او ابروشكا .. لان
 آراءه فى السعادة تختلف عن آرائهما .

كان رأيه في السعادة أنها لا تكتمل إلا بانكار الذات والتضحية
بالمصالح الشخصية والمآرب الدائية من أجل الغير . . وان هديته
التي قدمها لليوكا لكي يسهل له أمر الزواج من ماريانكا قد ملأت
قلبه بالرضى والسعادة . وانه من ثم ليبحث عن الفرص التي تتيح
له اسعاد الغير . ورغم لحظات الضعف التي كانت تقربه بان يعيش
كما يعيش ليوكا او الصياد ايروشكا ، إلا انه كان دائما يحلق في
سماوات انكار الذات وينظر من مكانه الرفيع في هدوء واطمئنان
الى الناس والى ما ينبغي ان يفعل من أجل اسعادهم .

الفصل الثالث عشر

الطبيب

أقبل ليوكا رابكا جوادا لزيارة أولنين قبل موسم الحصاد بأيام
قليلة وبعد أن سدلا التحية بعودة وإخاء .
قال له أولنين :

- متى سيتم زواجك أم .

ولم يجد ليوكا فورا .. وإنما قال مشيراً الى جواده :

- أترى هذا الجواد الجديد الذي استبدلته بجوادك ..
أليس رائعا ؟ .

وقصر الإنسان الجواد الجديد ، وكان رائعا فعلا .. ولم يستطع
أولنين أن يملك نفسه من الإعجاب به .. قائلا أنه لم ير في حياته
جوادا أحسن منه .

وربت ليوكا عنق الجواد وقال :

- وهو ذكر أيضا .. يتبعني أينما سرت .. ولا يلاحق به جواد

آخر .

- هل ذمعت مبلغا كبيرا في سبيل الحصول عليه أم .

وابنم ليوكا قائلا :

- اننى لا ادرى .. لقد جاملنى قيه صديقاً .

- انه جواد رائع فعلاً .. مدهش ، بكم تبعه ؟ .

- لقد عرضت على مائة وخمسون روبلاً لمنا له . ولكننى طلى
استعداد لان اقدمه هدية خالصة لك .. اطلبه وانا اهبه لك ..
ويمكنك ان تعطينى بدلا منه اى جواد عجوز عندك .

فهتف اولئين قائلا :

- لا .. لا .. اننى لا اقبل هذا بحق السماء .

فتناول ليوكا من حزامه خنجرا من طراز فاخر وقدمه الى
اولئين قائلا :

- اذن ارجو على الاقل ان تقبل هذا الخنجر هدية منى .. لقد
ظفرت به من الضفة الاخرى من النهر .. من بلاد التتر .
- شكرا جزيلاً يا صديقى .

- وقد وعدت امى ان يقدم اليك كمية كبير من العنب عند
الحصاد ..

- لادامى لذلك .. لسوف تسوى كل شىء بيننا يوما .. ثم
اتنى لن ادفع لك نمنا لهذا الخنجر .. اليس هذا ماتريد ؟ .

- نعم .. نعم ، اننا صديقان حميمان ، تماما كما هو الشأن
مع صديقى جبرى خان . لقد اخذنى الى بيته وطلب منى ان اخذ
ابنة هدية اريد وقد اخترت سيفاً تترياً من النوع العسير .. الممتازة
ودخل الاثنان الكوخ ليشرى بعض النبيذ .

وقال اولئين :

- هل ستمكث هنا طويلاً ؟ .

- لا .. لقد جئت لاودعك فقط . اتهم سقومون بحملة
مسكرية عبر نهر تيريك وستمضى الليلة ، وسيكون صديقى نازار
معى ..

- ولكن ماذا عن الزواج امتى سيتم ؟ .

فرد ليوكا فى غير اهتمام :



- لسوف احضر فى اجازة قصيرة لانمام الخطبة . ثم اعود الى
قررتى ..

- ولكن .. ان تذهب لزيارة فتانك اليوم ؟

- وما فائدة هذا ؟ حسنا ! عندما تقوم مع فرقتك بحملة
مسكرية عبر النهر ، فلا تنس ان تسال عن ليوكا . . ليوكا الشجاع
وعندئذ سوف اصحبك الى رحلات لصيد الخنازير البرية ، اننى
اهرف مواطنها .

- حسنا باليوكا . . وداعا ، وليكن الحظ معك .

واعلى ليوكا ظهر جواده ، وانطلق فى الشارع دون ان يلقى
لقظة على كوخ ماريانكا . . ولم يلبث ان انضم الى صديقه نازارالدى
كان فى انتظاره .

وقال نازار وهو يومئ براسه الى كوخ يامكا ، صاحبة الحانقة
- هه ، ماريك ؟ . . هل ندخل ؟

- آه . . لاياس . . خذ جوادى هذا اليها ، واذا تم احضرو
بسرعة : يمكنك ان تقدم له بعض العشي . . وسوف انضم
الى الفرقة غدا صباحا .

- وماذا عن صاحبنا الروسى . . هل ظفرت منه بشيء جديد ؟

- لا . . وقد نجوت لحسن الحظ بجوادى منه . . كان يريد
ان ياخذ .

ثم برجل عن الجواد ، وسلم عنانه لنازار قائلا :

- اذهب به الى يامكا . . اما انا فسوف امضى اولا الى ماريانكا .

وسل - دون ان يراه احد - عائده الى نافذة كوخ ماريانكا ؟
وهناك رآها فى الغرفة الامامية واقعة امام المراة تنزبن استعدادا
للسوم . .

وهمس لها قائلا :

- ماريانكا . . اننى ليوكا .

واشرق وجه ماريانكا بالسعادة حين سمعت صوتها ، واسرعت
الى النافذة ورفعت مصراعها . همست قائلة فى خوف ولهفة :

- آه .. ماهذا ؟ ماذا تريد باليوكا ؟

- اسمحني لي بالدخول لحظة واحدة .. اننى اكاد اموت شوقا اليك .. لم بعد في مقدورى الصبر اكثر من هذا .

ثم جذب راسها من النافذة وقلبا بحرارة قائلا فى همس !
- افتحى لى الباب .. ارجوك .

- انك تضيع وقتك سدى .. منذ متى وانت تنتظر ؟

ولم يجب .. وانما استمر فى تقيلها .. وكان بهمس فى لهفة :

- اتريين ؟ اننى عاجز حتى عن عنافك بسبب ضيق هذه النافذة ..
وعندئذ سمع الاثنان صوت الام الحوز وهى تقول :

- ماريانكا ! مع من تحدثين يا حبيبتى ؟

ورفع ليوكا قلنسوته التى قد نكشفه .. وفتح تحت النافذة
لغى سكون ، على حين همست له ماريانكا قائلة :

- انصرف .. بسرعة .

ثم رفعت صوتها وقالت لامها :

- انه ليوكا يا امه .. كان يريد ان يرى ابنى .

- حسنا .. دعيه يدخل .

- لقد انصرف .. قال ان رفته ضيقا .

ومضى ليوكا بعيدا ، وهو لا يزال منحبا ، واتجه نحو كوخ بامكا
دون ان يراه احد غير اولئتين . وفى كوخ بامكا ، شرب مع نازار
تجاجة او اثنتين من النبيذ الاحمر قبل ان يخرجوا من القرية . ومضى
الاثنان فى طريقهما برفرف عليهما الصمت ، وفجأة رفع ليوكا
عقيرته بالفناء .. وبعد ان فرغ من الفقرة الاولى ، اتجه
الى نازار وقال له :

- اتعرف ! لقد ابنت ماريانكا ان تسمع لى بالدخول .

- اوه .. كنت اتوقع هذا . لقد قالت لى بامكا ان صاحبنا

الروسى بدأ يزور اسرتها وان ابروشكا العجوز يشبع فى القرية

انه سيظفر من الروسى بشدية جديدة عندما يساعده على الظفر
يقلب ماريانكا .

فصاح ليوكا قائلا فى غضب :

— آه ، يا لذلك الشيطان العجوز . . انها ليست فتاة من هذا
النوع . . وعلى ذلك الروسى ان يحذر ، والا حطمت ضلوعه .

ثم اطلق بردد اغنيته المحبوبة :

« من قرية اسماعيلوف . .

« ومن بستان السيد المحبوب . .

« طار ذات يوم — بازى — خفيف الجناح . .

« ومن ورائه أسرع الصياد الشاب . .

« وراح يلوح للبازى الجميل بيده اليمنى .

« ولكن البازى الجميل اجاب قائلا :

« ان تفصك الذهبى لن يضمنى ابدا .

« وان يدك اليمنى لن تمسك بى ابدا .

« وانما انا سأطير حرا الى البحر الأزرق .

« وهناك سأظفر بجعة بيضاء . . بيضاء . .

« ومن لحم الجعة البيضاء ، سأملأ معدتى .

واقيم الاحتفال بالخطبة فى بيت والد ماريانكا . وكان ليوكا
قد حضر فى اجازة قصيرة الا انه لم يذهب لزيارة اولتين . . ولم
يذهب اولتين ليشهد الاحتفال بخطبته على ماريانكا وذلك برغم انه
كان احد المدعوين اليه . . كان يشعر بالحزن يعنصر قلبه . . ومن
ثم اغلق باب الغرفة على نفسه ، وراح يكتب فى مفكرته :

« لقد فكرت فى اشياء كثيرة فى الآونة الاخيرة ، ولكننى برغم
تفكيرى هذا لم اتزحزح عن ايمانى بان الطريق الوحيد الى السعادة
الحقة الكاملة هو ان يحب الانسان ، ان يحب ويحب منكرا ذاته . .
ان يحب كل الناس . . وكل شيء . . ان يظلل بالحب كل الذين
حولهم . . وقد ظللت بالحب فانبوشا ، وايروشكا ، وليوكا ، وماريانكا

وما كاد يفرغ من عبارته الأخيرة ، حتى أقبل عليه الصياد
العجوز ابروشكا وهو في حالة انشاء ، حاملا معه آلة البلايكا
الموسيقية ، فلما رأى أولئين مشغولا بالكتابة قال له هانسا كان
هناك روحا لرفرف على الغرفة :

- استمر في الكتابة بأولدى .. وسأجلس أنا على الأرض
بجانبك في صمت ..

وأمر أولئين تابعه فانيوشا باحضار بعض النبيذ الأحمر
لابرووشكا ، ولكن الصياد العجوز لم يكن رافيا في الشرب بمفرده
وانما كان ملهوبا الى التحدث مع شخص ما وهو في هذه الحالة
من النشوة .
وهمس قائلا :

- لقد ذهبت الى الحفلة .. وتكن حوها لم يعجبني .. أنهم
لتنازير جميعا ، ولهذا فضلت الحضور اليك .
وفال له أولئين وهو لا يزال يكتب :
- من اين جئت بالبلايكا ؟

- كنت في الضفة الأخرى من النهر ، وحصلت عليها من أخ
لي هناك . لنني بارع في العزف عليها .. ويمكن ان أغنى عليها
الأغاني القوزاقية أو التنرية .. أغاني السادة أو الرعاع .. أستطيع
أن أغنى عليها اية أغنية تريدها .
ورفع أولئين رأسه وأبسم .. وشجعت ابنامته الصياد
العجوز ، وجعلته يقول :

- دمك من الكتابة الآن بأولدى .. اتنى أعرف أنهم جرحوا
مشاعرك . وماذا بهم أضحك في وجوههم وأبسم كل شيء .. ولكن
لاجدوى من هذه الكتابة ..

وضحك أولئين ، وشاركه ابروشكا في الضحك ، ثم وثب
وتناول آلة البلايكا ، وراح يردد عليها هذه الأغنية التنرية :
« اتنى وقعت في الحب يوم الاثنين .
« وتعلبت طوال يوم الثلاثاء .

- « وقدمت السؤال يوم الأربعاء »
- « وانتظرت طوال يوم الخميس .
- « وجاءت اجابتها يوم الجمعة .
- « وضاع كل امل لى .
- « وقررت بكل عزم وقوة . .
- « لان انهى حياتى يوم السبت .
- « ولكنى غيرت رايى يوم الأحد .

واندفع ابروشكا فى القناء ، وارتفع صوته عاليا ، ومضى الى الغناء الكبير ، وكان كوخ أسرة ماربانكا مضاء ، واصوات المحلطين وضحكاتهم تنساب منه ، وكانت ثمة فتيات كثيرات يتحلقن فى القناء الصغير الداخلى او يدخلن الى مكان الاحتفال او يخرجن منه .

واطلق بعض القوزاق ظلفات نارية فى الهواء احتفالا بالحطة، واندفع بعضهم الى فناء كوخ اولئين وراحوا يرفضون رقصات فورافية عشبة على غناء ابروشكا ونغمات البلايكا .

وقال له اولئين :

- لماذا لم تذهب للحفلة .

فقال العجوز بصوت الانسان المتألم من شىء :

- دعك منهم . . دعك منهم . . انتى لم استرح اليهم . حلم
تدخل الكوخ وتحتفل معا احتفالا خاصا .

وفى داخل الكوخ قال اولئين :

- كيف حال ليوكا ؟ . اهو سعيد ؟ . لماذا لم يات لزيارتى ؟ .
فدمدم الرجل العجوز قائلا :

- ليوكا ؟ اعرف ماذا قالوا له ، قالوا انتى احاول ان اقدم فنانة
لك . وكانما ليس فى القرية فتاة اجمل منها . وفى مقدورنا ان
نحصل عليها اذا شئت . . ادفع مبلغا اكبر مما دفعه ليوكا وسوف
يزوجها ابوها منك . ويمكننى ان افوم لك بهذه الخدمة اذا شئت .

- لا يا صديقي العزيز .. ان المال لا يستطيع ان يفعل شيئا اذا لم تكن تجبى .. دعنا من الحديث عن هذا الموضوع .

وانفجر المعجوز ابروشكا ، فجأة بالبكاء وهو يقول :

- نعم .. نعم .. اناك على حق .. انهم لا يحبوننا نحن المساكين
التعسفين .. لا احد يحبنا .

وشرب اولين في تلك الليلة أكثر من المعتاد وهو بنصت الى احاديث الصياد المعجوز التي لا تنتهي . وكان بين الحين والآخر يقول لنفسه في شيء من العزاء :

- يكفي ان يكون الحبيبان سعيدين .

ولكن الالم الخفى كان يعنصر قلبه .. وقد حاول جاهدا ان يخفف من الالم بالمزيد من شرب النبيذ الاحمر .. وكلما شعر بنقل رأسه قال لنفسه مواسيا :

- ان السعادة الحقة هي انكار الذات من اجل الغير .

وانتهز الصياد المعجوز تلك الفرصة السانحة ، فراح يعبث من الشراب بلا حساب .. وما لبث ان سقط فاقد الوعي على ارض الكوخ .

وحار فانبوشا في امره ، ولم تدرك كيف يستطيع التخلص منه بمفرده : لان سيده اولين لم يكن . من جانبه ، في حالة تسمح له بمعاونته . ومن ثم استدعى بعض الجنود . وسحوا الصياد المعجوز الى خارج الكوخ ، وعبر فانبوشا عن استنكاره بالبصق على الارض قبل ان يعود الى غرفته للنوم .

الفصل الرابع عشر

الحصار

كان محصول الكروم في ذلك العام وافرا ، ومن ثم كانت الفرحة تملأ قلوب سكان القرية وهم يجمعون الأعناب ، ويتبادلون الأحاديث ويمتلئون الجو ضحكا وغناء .

وفي ظهر ذات يوم كانت ماريانكا جالسة في ظل شجرة خوخ ، تفك لفافة وجبة غداء الأسرة بعد أن تناولتها من المركبة . وامامها وعلى مفرش من الجلد ، جلس والدها الذي اخذ اجازة من عمله . . . يقسل يديه من ابريق نحاسي ، وشقيقها الاصغر الذي عاد من البحيرة الصغيرة بعد ان غسل فيها وجهه ، والام العجوز وقد شمردت من ذراعها وراحت تأخذ من ماريانكا ألوان انطعام وترتبها على مائدة منخفضة مستديرة ، وكان الطعام مكونا من عناقيد العنب ، والسمك المجفف ، وبعض شرائح اللحم القشيد والقشدة والخبز . وجفأ الوالد بديه ، وجلس متربعا امام المائدة ، وشرب الفلام من الابريق الى شراة ، وتربعت الام والابنة الى الجانب الآخر من المائدة . . . وكان الجو حارا خائقا ، والهواء الساخن المنذفع بين اعواد الكروم يزيده حرارة . وشرب الوالد بعض النبيذ من الابريق ، ثم قدمه الى الام ، وبعدها الابنة ، ثم الابن . . .

وقال الوالد فى لهجة نتم من النطقة والرضا !

- برى هل سنستطيع جمع المحصول من الكرمة التى
وراء الظلة قبل هبوط الليل ؟
فقال زوجته !

- سمكت اذا لم تسقط الامطار .. وهلى كل حال فان ال
ويمكن لم يجمعوا بعد نصف محصولهم واوسنكا تعمل بمعردھا
ولكاد نموت من فرط الارهاق .

- وماذا كنت تنتظرين غير هذا ! .

وقالت الام العجوز وهى تقدم ابريق التبيد لابتھا :

- اشربى ناحييتى .. واسال الله ان يرزقنا بتكاليف حفلة
تواجك .

فقال الوالد وهو يعطب جبينه قليلا

- لا يزال فى الوقت متسع للتفكير فى هذا الامر .

واطرقت مارياتكا براسھا .. علم حين فالت الام فى اصران ؟

- ولماذا لا تتحدث عنه الآن فقد تم كل شىء .. ولم يبق الا
ان تفكر فى بعات التنفيد .

- لادامر للتفكير فى المستقبل . علينا اولان نفرغ من جمع
المحصول .

وقالت الام العجوز :

- هل رايت جواد ليوكا الجديد؟ انه لس الجواد الذى اهداه له

توبلنا .. وانما هو جواد آخر ..

فقال الوالد :

- لا .. لم اره بعد . ولكننى تحدثت اليوم مع فابوشا التابع

وعلمت منه ان سيده تلقى الفروبل مرة اخرى .

فاومات المرأة العجوز براسھا قائلة :

- انه مصنوع من المال .. لاشك فى ذلك .

وكانت الاسرة كلها تشعر بالسعادة والرضا ، اذ كان العمل

يجرى باطراد وكان المحصول وافرا والعنب من صنف ممتاز .

وبعد الفراغ من طعام الفداء ، وضعت ماريانكا كمة من العشب أمام النيران ثم استلعت في ظل المركبة ، ونامت تنسريح في فترة القيلولة ولكنها لم تستغرق في النوم فورا ، وإنما راحت تفكر في ليوكا ، وفي يوم الزفاف ، دهشت حين وجدت نفسها لا تعجل هذا اليوم .. ولم تلبث ان ادركت السر في هذا .. ادركت انها سعيدة باهتمام اولئذين بها .. سعيدة بنظراته التي سمع عن حبه الكبير لها ..

فلماذا تعجل الزواج من ليوكا !! .

وقبل ان تستغرق في النوم ، اقبلت صدقنها اوستينكا اليها ووقدت بجوارها في ظل المركبة ، ثم اذا هي تعانها وتضحك قائلة :
- ماريانكا .. اعرفين لماذا جنب اليك ؟
فاعتمدت ماريانكا على مرفقها ورفعت راسها بعيد وعالت :
- لا .. لماذا ؟

- اننى اعرف شيئا عن تزويجكم اولئذين .
- وماذا اعرفين ؟
- هل باتى لزيارتك ؟
- وماذا لو انه باتى ؟

- اوه .. لا تفسر منى يا ماريانكا . انى فتاة بسيطة وصريحة ولا اوذى احدا . لهذا اقول اننى احبه .. احبه .
- من ابايا يلنسكى !
- نعم .. طبعاً .
- ولكن هذه حطبة يا اوستينكا .

- لا يا ماريانكا .. ان هذه هي الفرصة الوحيدة للاستمتاع بحياتى قبل الزواج . لاننى بعد الزواج ساكون مشغولة بالزواج والاولاد وامباء البيت . انظرى الى نفسك انك تتنظرين الزواج من ليوكا دون ان تسمى بحياتك ..

فقالت ماريانكا :

- ان هناك نساء كثيرات يجدن السعادة الحقة فى الزواج .
- ارجوك ان تصارحينى يا ماريانكا . . ماذا حدث بينك وبين
ليوكا .

- ام يحدث بينى وبينه شىء . لقد تقدم لخطبى ، وارجا ابى
الموافقة لمدة عام واخيراً تمت الخطبة ، وسوف يتم الزواج فى
التحريف القادم .

- ولكن ماذا قال لك ؟

فابتسمت ماريانكا وقالت :

- وماذا يمكن ان يقول لى ا قال انه يحبنى ، وقلل يلح على
لكى اذهب معه الى بستان الكروم .

- آه . . ذلك الحبيث ! وهل ذهبت معه ا انه شاب ممتاز على
كل حال . وهو شجاع وجرىء . ويقولون انه يستمتع بحياته فى
الجيش ، ولكن المعروف انه يحبك اشد الحب . . وماذا ايضا . .
ماذا قال لك ايضا ؟

فضحكت ماريانكا وقالت :

- لا شىء اكثر مما تعرفين . ولكنه جاء ذات ليلة الى نافذة
غرفتى وكان مخمورا ، وطلب منى ان اسمح له بالدخول .

- وهل سمحت له ؟

- لا طبعاً . اننى حين اقرر شيئاً لا اراجع عنه .

- ولكنه شاب رائع . . وابة فتاة ترحب بطلبه .

فردت ماريانكا قائلة بكبرياء :

- اذن ليذهب الى هذه الفتاة . .

- الا تشعرين بالأسف من اجله ؟

- بلى اشعر . . ولكننى لاحب ان اترك احداً يعبتاً بعواطفى .

الا ترى هذا .

فاخذت استنكا وجيها فى صدر ماريانكا ، وقالت هاسمة :

- انك فتاة باردة العواطف .. انك لا تريد ان تشعرى
بالسعادة .

ثم اردت فائلة وهى « تدفدها » وتضحك :
- ولكنك فتاة سعيدة الحظ ، ان جميع الشبان يهيمون بك
حبا ، ولكنك لا تهتمين باحد منهم . ولو كنت فى مكانك ، للعبت
بعواطف ذلك الروسى الثرى .. اولتين .. انه يحبك ويكاد ياكلك
ينظرانه . لو انك تربين الهدايا الجميلة التى يقدمها بابا بلنسكى
الى اا ان اولتين او فر ثراء منه . ونقال انه اغنى رجل فى روسيا
وان تابعه فانوشا يقول ان لديه مئات من عبيد الارض .
وانتصيت ماريانكا فائلة :

- اتعرفين ماذا قال لى يوما ؟ اننى اتمنى لو كنت خطيبك ليوكا
او اخاك لازونكا .. فماذا كان يعنى بقوله هذا ؟ .

- اوه .. انه يقول اى شىء يخطر بباله ، تعالى واسمعى ما
يقوله لى بابا بلنسكى .

وعادت ماريانكا ورقدت لتنام وهى تقول :

- لقد طلب ان ياتى ويساعدنا فى جمع المحصول . وقد رحب
ابى به .. وسوف ياتى اليوم .

سقطت اشعة الشمس عند ميلها فى سمت الاصيل ، على
وجهى اوستنكا وماريانكا الراقدين فى ظل المربعة . ولما استيقظت
الفتاتان ، وراحت ماريانكا تنظر حولها رات عند شجرة الكوخ
نزيلهم اولتين واقفا يتحدث الى ابها واليندقية على كتفه ولكرت
اوستنكا فى جانبها و اشارت اليه باسعة دون ان تقول شيئا .

وكان اولتين يقول وهو ينظر حوله فى لهفة دون ان يرى ماريانكا
بسبب تكاثف اعواد النبات :

- لقد ذهبت امس ولكننى لم ار واحدا منها .

- اوه .. لاشك انك لم تذهب الى المكان الذى وصفته لك ،
لان هذا المكان مملوء بالارانب البرية .

وقحة قالت الام العجوز ضاحكة :

- وسر .. ايلق ان تجرى لصيد الارانب دون ان تاتي
لم اعد الساب في جمع المحصول .. ا
م زدوت بصوت مرتفع تقول !
- هم ت ساف الى العمل ..

وكانت ماريانكا واوستنكا تتهايمان بحوار المركبة وتضحكان
بصوت خافت حتى لا يعرف اولئين مكانهما . وكان الوالد يسودد
الى الروسى الساب مند عرف بأمر الهدية التى قدمها الى ليوكا .
اي الجواز الذى يبلغ ثمنه اربعين روبلا . . وكان يزداد سرورا كلما
واى وشائج المودة تزداد بين الشاب الروسى الثرى وبين ابنته
ماريانكا .

وقال اولئين وقد لمح ثوب ماريانكا الازرق ومنديلها الاحمر ا
- ولكنى لا اعرف كيف اقوم بالعمل معكم .
وقالت الام العجوز :
- تعال لاقدم لك بعض الخوخ .
وقال الوالد :

- دعك من هذه المرأة الحقةاء ، انها تريد ان ترحب بك على
الطريقة العورافية ولكنكم فى روسيا تقدمون لضيوفكم مربي
الكمثرى وما الى هذا من الحلوى المظهوة .
- لا .. لا شكرا . اننى افضل ان اعمل معكم اولا فى جمع
العنب .

وبدا وليس يعمل ، وانتهر اول فرصة اتفرغ فيها بماريانكا وقال
لها وهو يحاول السيطرة على تيرات صوته :
ان هذا العنقود لا يزال اخضر وان كان يزن اكثر من ثلاثة
ارطال

- ولكننا نقتطعه ..
- ولكن من اين .. هل من هذا الصنف ؟

واخذت ماريانكا تعلمه كيف يقطع العنقود الكبر وتلامست
أيديهما ، ونظرت اليه باسمة ، وقال لها :

- متى سينتم الزواج ؟

فنظرت اليه فى شىء من الحزن ، ثم اشاحت بوجهه دون أن

تجيب .

وعاد هو يقول :

- هل تحيين ليوكا .

- وما شأنك بهذا ؟

- اننى احسده .

- احقا ؟

- نعم .. انك جميلة جدا ..

وأمسك بيديها فجأة وقد اضطرم وجهه وخفق قلبه بشدة
وركز نظراته عليها أما هى فقد قالت بهدوء

- ايا كان الامر ، فاننى لست من نصيبك .

ثم أردفت قائلة بعد برهة صمت :

- فلماذا نسخر منى !

ولكن عينيها كانتا تقولان بوضوح انها تعتقد تماما انه لا يسخر

منها ، وإنما هو جاد فى حبه لها .

وقال هو باضطراب :

- اسخر منك !؟

ثم تنهد بعمق واستطرد قائلاً :

- آه .. لو انك تعلمين ..

وشعر ان عبارته هذه سطحية ولا تتفق مع حقيقة شعوره ،

ومن ثم عاد يقول بحرارة :

- اننى على استعداد لان افعل من اجلك اى شىء .

- آوه .. دع يدى ايها الشاب الماكر ..

- أميلا -

ولكنها باضطرام وجهها ، وتالق عينيها ، وخفقان صدرها
الجميل ، كانت تقول له شيئا آخر . واحس اولنين انها كانت منذ
مدة طويلة تعرف ماذا يريد ان يقول لها ، ولكنها كانت تهفو لان
تسمع منه كيف يمكنه الاعراب عن مواطنه نحوها .

وقبل ان يقول لها شيئا ، اذا ماوستنكا تقول ضاحكة وهي
واقفة عند كرمة قريبة :

- انت .. هناك .. اولنين .. تعال وساعدنى .. انى اعمل
بمفردى منذ الصباح .

ولكن اولنين لم يرد ولم يتحرك من مكانه .

وعادت ماريانكا الى عملها فى جمع عناقيد العنبي . وكانت
بين الحين والآخر ترفع وجهها الى اولنين وتبتسم . واراد هو ان
يقول شيئا ، ولكنه هز راسه وقرر ان يلتزم الصمت .

ولما اوشكت الشمس ان تغيب ، حملت بندقيته على كتفه ،
وامتدار خارجا بسرعة من الكرمة ، وضحكات اوستنكا وماريانكا
تون فى اذنيه .

الفصل الخامس عشر

عذابات الحب

امضى اولنين فترة الغروب فى القابة محاولا اصطياد شىء ة ولكنه لم يوفق ، وحين عاد الى مسكنه ، رآى ماريانكا فى الفناء وهى تقوم بأعمالها المعتادة قبل أن تدخل كوخ الأسرة لتناول العشاء، ومضى هو الى كوخه ، وجلس يفكر فيما ينبغى أن يفعل . واخيرا تناول عشاءه ، وترك فانيوشا ليمضى الى فراشه ، ثم جلس فى الشرفة غارقا فى تأملاته بعد ان هدأت الحركة فى القرية . وكان بين الحين والآخر يسأل نفسه :

— ماذا اريد ؟ وماذا ينبغى أن افعل .

وكلما سمع وقع خطوات خفيفة فى الفناء ، أسرع واطل برأسه وكان يرى فى كل مرة طرفا من ثوب ماريانكا وهى تسرع بالعودة الى الكوخ . وكان قد عرف — بالسمع — أن والديها قد فرغا من العشاء ، ومن تبادل الأحاديث ، وأنهما أويا الى فراشهما .

واستجمع شجاعته فى النهاية ، وسار على اطراف اصابعه ة وفتح باب كوخ أسرة ماريانكا ، واختلس نظرة الى الداخل ، ولما رأى أن ماريانكا لا تزال مستيقظة ، أسرع متراجعا ، وعندئذ سمع صوت رجل فوزاقى يقول وهو فى الفناء :

- ما هذا .. ماذا يجري هنا ؟
ثم رأى نازار يتقدم نحوه ويردف قائلا !
- شيء جميل جدا .. لقد رأيتك بنفسى هذه المرة ، ولسوف
أبلغ الأمر الى شيخ القرية .
وسمر أولئين فى مكانه عاجزا عن الرد . وعاد نازار يقول ؛
- وساخير والدها ايضا كيف تسمح هذه الفتاة بتسلك الى
أكوخه . الا يكفيها حطيب واحد ؟
واستطاع أولئين ان يقول فى النهاية ؛
- ماذا تريد منى ؟ والى اى شيء بهدف ؟
- لا شيء .. ولكننى ساخير القرية كلها بما رأيت .
وكان نازار يتحدث بصوت مرتفع عن عمد ، مما جعل أولئين
يرتعد . يقول له وهو يمك بلذامه ويجذبه نحو الكوخ ؛
- تعال معى هنا .. انك تعرف انه لم يحدث شيء .. انها ابنت
ان تسمح لى بالدخول . وانا لم اكن اقصد شيئا . انها فتاة شريفة .
فرد نازار ساخرا ؛
- سوف ترى هذا .
- ولكننى ساعطيك مبلغا من المال على كل حال . انتظرنى هنا .
واسرع أولئين الى كوخه ، ولم يلبث ان عاد ومعه عشرة روبلات
لقدمها لنازار وهو يقول ؛
- لا شيء حدث على الاطلاق . وانت تعرف هذا . ولكننى
أخطأت التصرف على كل حال ، وانى أقدم اليك هذا المبلغ حتى
لا تحير احدا بما رأيت .
وضحك نازار وقال وهو ينصرف بعد ان دس المبلغ فى جيبه ؛
- حسنا جدا .
وكان نازار قد عاد الى القرية فى تلك الليلة ليقوم بمهمة من
أجل ليوكا ، او على الاصح ، ليجت عن مكان يخفى فيه جوادا
مسروقا . وفيما هو يمر بالشارع رأى أولئين فى أثناء محاولته فتح
باب كوخ ماريانكا . وفى اليوم التالى راح يزهر امام صديقه ليوكا
تعا فعل ، وبما ظفر به من مال أولئين .

رسى -ت ليلة ، جلس أولئین مسهداً قارقاً فى أفكاره وهمومه
ومن ثم لحا الى مفكرته بكتب فيها خواطره واحساساته وظل
مشغولاً بالكتابة حتى اوشك الفجر ان يبليج . وقد اختتم مذكراته
فى تلك الليلة بهذه العبارات :

« ان انكار الذات مبدا عقيم لا جدوى منه .. انه لون من
الكبرياء ، وملاذ من الاحساس بالشقاء ، وتخلص من القيرة التى
تعلا النفس من سعادة الآخرين ، اذ كيف يعيش الانسان لغيره
ويعمل صالحا وهو معذب بحب فتاة ما ، ممتلىء النفس بالرغبة
فى الحياة معها ؟ اننى الآن لا اريد السعادة لغيرى ولا لليوكا ، اننى
اريدھا اولا لنفسى ، اننى احبھا واتعذب بحبھا ، ومن العار
ان اتركھا لانسان غيرى اذا كان فى مقدورى ان اطفر بها، واذا كانت
هى تبادلنى الحب فعلا .. ان الحب اقوى من كل شىء .. وان
الانسان وهو على قيد الحياة لابد ان يسعى الى السعادة بقدر ما
يستطيع . ومن ثم سأذهب اليھا واصارحھا بكل شىء .

وذهب اليھا فى مساء اليوم التالى .. كانت جالسة على
الفرن عاربة الراس تخطب ثوبا حريريا على ضوء سراج . وكانت
امھا جالسة على متكا بجوار الفرن تفزل خيوط الحرير من شرائق
ديدان الحرير ، ولما راته ماريانكا ، وثبت من فوق الفرن وأسرعت
تعصب راسھا بمنديلها ، ثم حاولت العودة الى ظهر الفرن عندما
نالت لها امھا :

- ماذا بك .. ابقى معنا هنا

- لا .. لا استطيع يا اماء .

ولم يستطع أولئین فى جلسته ان يرى غير جزء صغير من
جسمها وراح يتبادل الحديث مع الام العجوز التى رحبت به اجمل
تروحيب . وقدمت له الزبيب وفطائر العنب وبعض التيبذ الحيد ،
واخذت تحته على الطعام والشراب . وكانت المرأة العجوز تبدو

لأولتين على جانب كبير من الرقة والحنان بعد ان تغلب على صدمة
لتأنيها الاول له .

وقالت في معرض الحديث :

- اتنا نحمد الله .. فكل شيء ميسور لنا .. لدينا حاجتنا من
الطعام والشراب وبفيض عندنا من التبيل هذا العام نحو ثلاثة أو
أربعة براميل يمكن بيعها وانفاق ثمنها في حفلة زواج ماريانكا ..
ونرجو ان تشترك معنا في مباحج هذه الحفلة .

وخفق قلب أولتين بعنف وقال والدماء تلهب وجهه :

- ومنى ستكون هذه الحفلة ؟

- ربما في الأوج القادم . اتنا مستعدون لكل شيء .. ونرجو
أن يستقر ليوكا بعد الزواج ويستقيم حاله . لقد سمعنا انه يقوم
بإغارات على هضاب نوجاي ولانك ان هذا سيعرضه للمخاطر .

- أرجو الا يقع في قبضة التتر . والواقع اننى رأيت في
القرية بسرف في شرب الخمر ؛ كما سمعت انه باع مرة أخرى
بجوادا مسروقا من هضاب نوجاي .

وشعر أولتين بالخجل حين رأى ماريانكا تنظر اليه بغضب
وتقول بصوت كله التحدي :

- وماذا في هذا ؟ ان ليوكا يشرب كغيره من الشبان ، وهو
يدفع ثمن شرابه من ماله . ولا تنس انه لا يتسبب في ابداء احد .
ثم وثبت من ظهر الفرن ، وفادرت الفرفة واغلقت الباب
وراءها بعنف وشبهها أولتين بتظراته ، وقد بره انه اتار في
ففسها الانفعال .

ووجدها في مساء اليوم التالي بمفردها في الكوخ تستعد
لكنوز ، وكانت امها مشغولة في حفلة المواشي ، فقال لها في صوت
ملهوف :



- ماريانكا .. الا ترحميني ؟ اننى لا استطيع ان امر بـ لك
من مبلغ حبي .

فتراجعت عنه قليلا وتمتمت قائلة :

- دعك من هذه الاحاديث الرخيصة . وناكد انك لن تستطيع
ان تنال منى شيئا .

- اننى جاد فيما اقول .. لا تتزوجى ليوكا . لسوف اتزوجك
ان .

« وقال لنفسه : وبهى .. ماذا اقول ؟ هل يمكننى ان اقول
هذا قدا وبعد غد ؟ نعم .. نعم .. اننى واثق من انى احبها وانمنى
الرواج بها . »

وقالت هى فى دهشة واهمة وقد زایلها الخوف :

- اتريد ان تتزوجنى حقا ؟ .

- نعم يا ماريانكا .. اننى اهتم بك فراما واكاد افقد عقلى .
اننى سافعل كل ما تامرينى به .

ولم يتعد عنه هذه المرة ، وانما مدت يديها ، واخذت بينهما
وقده الرقيقة الممتدة اليها ، وهمست قائلة بصوت خال :
« لا تكن احمق يا عزيزى .. هل سمع احد من قبل ان سيدا
عظيما مثلك تزوج فتاة فوزانية فقيرة ؟ »

- ماريانكا .. اننى احبك ، وهذا بكفى .. وسوف احقق
لك ..

ثم بسط ذراعيه لبطوقها، ولكنها تخلصت منه وانفلتت كالغزال
الشارد وهى تضحك .

وعاد الى كوخه فى تلك الليلة ، واستغرق فى نوم عميق وقد
لمتلا قلبه رضا عن نفسه وعن الحياة .

الفصل السادس عشر

ليلة المهرجان

كانت القرية تحتفل بمهرجان الحصاد في الميدان الكبير الذي يتوسطها وكان الشبان والعنيات برقصون وبغنون بملابسهم الوطنية ويتبادلون الوان الحلوى ، ، يشربون النبيذ الأحمر ، وكانت اوستنكا تستضيف في كوخها المظل على الساحة صديقها بلنكي وصاحبه اولنين . وكان ليوكا وصدقه نازار قد عادا الى القرية ليشاركوا في الاحتفال ، وكان ليوكا اكثر الشبان رقصا وفناء . ولما رأى اولنين في نافذة كوخ اوستنكا ، او ما له براسه ، وقال له :

- هلم يا ديمتري واشترك معنا في الاحتفال .

فقال له اولنين بشيء من الجفاء :

- سوف احاول .

وهمس بلنكي شيئا في اذن اوستنكا . وسرعان ما اسرعت الى الساحة ثم عادت ومعها ماريانكا التي وقفت خارج النافذة بتبسم لأولنين . فقال هذا لها :

- ادخلي يا ماريانكا .. ارجوك .. اني اريد ان اتحدث

اليك في امر مهم .

فاقتربت منه وقالت :

- ماذا تريد ان تقول ؟ .
- اريد ان اسمع منك الإجابة عن سؤالى .
- أى سؤال تقصد ؟ .
- فهمس فى اذنها قائلة :

- السؤال الذى وجهته اليك منذ أيام .. هل تتزوجيننى يا ماريانكا ؟ .

ففكرت ماريانكا برهة ثم قالت :

- سوف اخبرك الليلة .. .

ثم املت عليه نظرة حانية ، واسرعت للاشتراك فى الغناء الرقص .

واسرف ليوكا فى الشرب ، وراح براقص البنات الواحدة بعد الأخرى ولما حاول ان يعانق أوستنكا ، نفر منه وقالت بصوتها قاضية :

- اننى عائدة الى البيت .. وسوف تأتى ماريانكا معى ..

ولكن ليوكا طوق ماريانكا بذراعه ، وهمس لها قائلاً :

- لا يا ماريانكا .. لا تذهبي معها الآن .. اننى اريد ان استمتع بهذه الليلة معك .. عودى الى بيتك وسوف الحق بك .

- لا .. اننى اريد ان استمتع بالاحتفال .. ولسوف اذهبي مع أوستنكا الى مسكنها .

- حسناً .. ولكننى سوف اتزوجك على كل حال ..

فانفلتت ماريانكا منه وقالت فى تحد :

- سوف نرى .

المنظر اليها برهة وقد قطب جبينه : ثم قال فحاة :

- ماذا تعنين ؟ اذن فان ما سمعته هو الحقيقة ؟ حسناً .. ان موقفك هذا لن ينتهى الى خير .

وتشعرت ماريانكا بالخوف وتمتمت قائلة :

- ماذا تعنى يا ليوكا ..

- اعنى علاقتك بذلك النزيل الروسى ..

قهفت قائلة فى غضب !

- وما شأنك انت ؟ انك لست ابى او امى . وانا حرة فى

علاقتى مع الغير .

- الـن تذكرى كلامى هذه .

ثم استدار وصاح مطالبا الفتيات والشبان بالمزيد من الغناء

والرقص .

وقف اولئى بالقرب من مسكنه فى الظلام . فلما رأى ماريانكا

تقترب ، اسرع اليها وطونها بدراعه وقبلها قائلاً :

- ماريانكا .. حبيبى ..

وهمست :

- يكفى هذا الآن .. وعليك قلباً ان تقبلنى ، ان تتزوجنى ،

او لا ..

- لسوف اذهب الى ابيك غدا واخطبك منه .. ولكن يجب

ان تتكسى الامر حتى تتم الخطبة .

- اتنى لن اخبر احداً بشئ .

- هل تتزوجينى يا ماريانكا ؟

- نعم ..

- ولكن .. هل تحبينى ، هذا هو المهم .. اناشدك الله ان

تصدقينى القول .

فضحكت وقالت وهى تضغط على يديه بيديها :

- ولماذا لا احبك ؟ انك شاب ممتاز كريم .. وان يدك لناعتان

الزبد .

- ماريانكا .. اتنى رجاء فى سؤالى .. هل تتزوجينى ؟

« نعم .. اذا وافق ابي »

- ارجوك . لسوف اجن اذا هزقت أنك نخدعيتنى .. لسوفك
الحدث غدا مع والدك وأطلي يدك منهما »

فلما ضحكت ، قال :

« لماذا تضحكين ا .

« لا شيء .. ان الامر طريف .

« ولكننى جاد .. لسوف اشترى مزرعة كروم وبيتا واتضم
بضميا للجيش القوزاقى .

- المهم ان تخلص لى ولا تجرى وراء نساء غيرى . اننى
لا احتمل هذا ..

ولدت اولين من فرط السعادة ومن الالم فى وقت واحد .
السعادة وهو بنصت الى كلمات ماريانكا التى تم عن مدى حبها
له ، والالم لانه يراها واقعة تحدث اليه فى هذا الامر الخطير بهدوء
تام ، وكأنما الحديث يدور حول شيء آخر لا أهمية له .
وعاد الى مسكنه وهو يقول لنفسه :

- ان الجواز ستمت امامنا ، وسيفهم كل منا الآخر على من
الأيام .. وان حبر لها لا يمكن التعبير عنه بالكلام .. ولسوف
أخبر والدتها غدا .. وأخبر بلنسكى وأخبر القربة كلها ..

وفى خلال هذا ، كان ليوكا قد اسرف فى شرب النبيذ حتى
فقد الوعى فضى ليلته فى حانة بامكا .

والمسقط اولين فى يكور اليوم التالى مستبشرا ، معشلى
النفس بالآمال التى كان يرجو ان تتحقق فى هذا اليوم .. وونبع
من فراشه لتعد للذهاب الى والدتها ، ويظفر منهما بالموافقة على
طلب يدها . ولم تكن الشمس قد اشرقت بعد حين سمع ضجة فى
الشارع ووقع الأقدام مقرونا «بدفقة» حوافر الجياد ، ومن ثم
لمبرع الى مصدر الضجة بعد ان ارندى سترته العسكرية قرأى

لخمسة من الفرسان القوزاق يعرفون من الشارع وهم يتبادلون الحديث بأصوات مرتفعة وكان ليوكا يتقدمهم بكتفيه العريضتين فوق جواده الرائع . وكان احدهم يقول :

- لنمض الى المخفر الامامى .

وقال آخر :

- كن على حذر .. انك لم تسرج جوادك كما ينبغي .

وصاح ليوكا بوجه متوهج :

- هلم الى البوابة الجنوبية .. انها تؤدي الى اقرب طريق .

وصاح اولئين قائلا :

- ماذا حدث ؟ الى اين انتم مذهبون ؟

- اتنا مسرعون الى عصابة من اللصوص الكشبان الرملية على هذه الضفة ان عددا قليل ، ولكننا لا نستطيع الانتظار اكثر من هذا .

وادرك اولئين ان تخلفه عن الاشتراك معهم فى هذه الحملة سيكون مثار الحديث فى القرية ، ومن ثم يادر الى بندقيته فحملها ، والى جواده فاسرجه بمساعدة فانوشا ، واستطاع ، هو وتابعه الشاب ، ان يلحقا بالفرسان الخمسة عند بوابة المدينة ، وان ينضموا اليهم .

وبعد مسيرة نصف ساعة ، لحق بهما الثمان آخرا ، كان احدهما مدرسا شابا بالمدرسة العسكرية ، وكان فى زيارة للقرية ، ومن ثم عهد اليه بقيادة الحملة ، ولكن الفائدة الفعلية لها كان ليوكا ، اما اولئين فان احدا لم يحفل به ، او يهتم بامرهم .

ورأى اولئين ان يتقرب من المدرس العسكرى الشاب ليعلم منه ماذا حدث وكان المدرس لطيفا ، فقال لاولئين ان طابورا من جنود المخفر كان يقوم بجولة تفتيشية حين لمح عددا من رجال اللصوص الجليلين فى الكشبان الرملية على بعد نحو عثة اميال . واطلق النار النيران على الطابور العسكرى قائلين انهم لن يستسلموا حتى



الموت . ولما كان الطابور لا يزيد على ثلاثة جنود وجاوبش ؟ فقد
تراجع افراده . وارسل الجاوبش احد الجنود ظالبا النجدة .

واشرقت الشمس ، وبدت نلال الرمال واضحة في كل اتجاه .
وصان افراد الحملة في صمتا وحيونهم لا تفعل عن شيء ، وكان
ليوكا يمضي في المقدمة على جواده الرائع ، مرفوع الرأس ، متوهج
الوجه ، حاد النظرات ، وكان اولتين يختلس النظر اليه بين الحين
والآخر في اعجاب مقرون بالحسد الغيرة ، وكان في الوقت نفسه
قد قرر حين رأى القوزافيين يتجنبونه ، الا يشترك في المعركة .
ولاسيما بعد ان البت شجاعته في معارك سابقة نال عليها بعض
الامعة ، ولكن السبب الرئيسي لرغبته في عدم الاشتراك هو
لشعور بالسعادة الغامرة ، وقد عز عليه ان تطفىء المعركة هذا
الشعور .

وفجأة دوى طلق نارى من بعيد ، وتحمس المدرس الشاب
واهتاجت مشاعره ، ولكن افراد الحملة القوزاقية لم يظرفوا
بعيونهم . ولم يهتز في ابدانهم شعرة ، وانما ظلوا منطلقين بسرعة
بواه ليوكا الذى كان يتدفع نحو مخبأ التتر بوجه كله عزم واصرار .
وفجأة وقف ليوكا جواده وقال :
- ارى شخصا على جواد من بعيد .

ومد اولتين بصره في كل اتجاه . ولكنه لم ير شيئا . ولكن
القوزافيين لم يثبتوا ان راوا ثلاثة رجال على جيادهم . فقال لهم
اولتين :
- اهؤلاء هم التتر .

ولم يجب عليه احد الجنود ، وكانما ارادوا بصحتهم ان يبيتوا
له مدى حماقته في توجيه سؤال كهذا . وكانما ارادوا ان يقولوا
له : هل يفعل ان يظهر التتر انفسهم بهذا الشكل .

وقال ليوكا وهو يشير الى احد الجنود الثلاثة المرعبين نحوهم :
- هاهو ذا الرميل رودكا بلوح في يديه . ترى ماذا حدث له .

وبعد لحظات اقل الجنود الثلاثة . وكان من بينهم الجاوبش
من جودكا . وانصروا لبقية الحملة .

وسأل ليوكا الجاويش جوركا قائلا :

— على أية مسافة يكمن التتر ؟ .

فأشار إلى تلّ رملي وقال :

— أنهم على مرمى البنادق من هذا التلّ . وقد تركت أحدهم

يجنودى ليمنهم من الزحف .

وترجل الجميع عن الجياد ، ومضوا إلى التلّ الرملي حيث كان

إحد الجنود يتبادل مع التتر إطلاق النار . ومزت رصاصة بجوان

أولنين ، فجفل وتراجع مما جعل ليوكا يقول له ساخرا :

— ابتعد أنت عن هذا المكان . . انه شديد الخطر عليك .

ولكن أولنين أصر على أن يرى هؤلاء التتر المغيرين المصريين على

الانتصار أو الموت .

وأطل براسه من فوق حافة المرتفع ، ولم يلبث أن لمح على

مسافة بعيدة ، تنوعاً من الرمال تبدو وراء قلنسوات التتر وفوهات

بنادقهم . وكان عددهم لا يزيد على تسعة رجال أشداء .

وقال ليوكا :

— يجب أن نحضر عربة تبن وندفعها امامنا ونلوذ بها في

إثناء تقدمنا نحوهم ، والا فانهم سيصيدونا الواحد بعد الآخر .

ثم أشار إلى مرتفع رملي قريب وقال :

— توجد في هذا المرتفع عربة تبن وضعت لهذه الأغراض .

هلم نأث بها .

وسرعان ما كان جنود الحملة يدقون بعربة التبن أمامهم

مستترين وراءها في تقدمهم نحو التتر المترقبين لهم . وكان رجال

التتر التسعة متحفزين ، وقد ركعوا على الرمال واستعدوا لإطلاق

النار في الوقت المناسب .

وظل الجنود القوزاق ، وراء العربة . يقتربون حثيثاً من التتر .

وكان أولنين يتوقع أن يرى التتر يطلقون النار في أية لحظة ، ولكنهم

إكأنوا يتحفزون وهم يرددون نشيدا جنائزياً ، وقحاة توقف النشيد

وانطلقت رصاصة من صفهم ، وملأت الجو صيحاتهم . . ولعناتهم

وظلقات بنادقهم ، ولكن الجنود القوزاق ظلوا يتقدمون مستترين
بعربة التن ، دون ان يطلقوا رصاصة واحدة ، حتى غدوا على مسافة
باردات من مكن التتر .

وفى لحظة واحدة ، اندفع الجنود من جانبي العربة ، يتقدمهم
ليوكا ، وصياحهم يمزق الجو . . وسمع أولنين دوى بضغ طلقات
نارية ، ثم صيحات توجع وأنين ، ولاح له انه رأى الدماء تنطابن
بين سحب الدخان . وترجل عن جواده بسرعة . . واندفع الى
قملانه ليساعدهم فى المعركة ، ولكنه فوجئ بان كل شىء انهم ، فى
لحظات ، وان الجنود القوزاق اطلقوا على التتر وقتلوا بعضهم
واسروا البعض الآخر ، وكان ليوكا ممسكا بذرراع تترى جريح وهو
يصيح فى زملائه قائلا :

- لا تقتلوه . . اتنى اريده حيا . . اته شقيق التترى الذى
قتله . . اته الرجل نفسه الذى جاء ودفع الفدية لينسلم جثة
لخيه .

وكان ليوكا يلوى بعنق ذراع التترى ، ولكن هذا تخلص منه
بقجاة ، واطلق عليه النار من فدارله وسقط ليوكا على الأرض
وانبثقت الدماء من بطنه ، ولكنه وثب واقفا وراح يغمغم باللمنات ،
وحاول ان يهجم على التترى ، ولكن نازار كان أسرع منه ، فاطلق
مسدسه على التترى وقضى عليه . واسرع زملاء ليوكا اليه
لاسعانه .

وانتهت المعركة ، وحملت الجثث واقتيد الاسرى الى دار شيخ
القرية وعاد أولنين الى مسكنه ، وفى المساء سمع ان ليوكا لم
يمت ، وان كان جرحه خطيرا ، ولكن احد الاطباء عبر النهر ووعده
بالحضور لاسعانه ببعض الاعشاب المعينة .

وانتظر أولنين حتى فرغت مارياتكا من اعمالها المنزلية فى الفناء
وفى حظيرة المواشى ، ثم ذهب اليها فى كوخها . وهناك رآها واقفة
وظهرها اليه ، فظن ان الحياء العدرى يلقبها على امرها ، ومن ثم
قال :

- مارياتكا . . هل تسمحين لى بالحديث معك ؟
فاستدارت نحوه فجأة وقد تبللت عيناها بالدموع ، وارسم

الحزن العميق على وجهها الجميل . ونظرت اليه قى تواقع صامتة
وعاد هو يقول :

- ماريانكا . . لقد جئت . .

فهمت قائلة وقد انسابت الدموع على وجنتيها غزيرة !

- كفنى وهاتني . .

- ما هذا ؟ ماذا حدث ؟

فقال بصوت جاف :

- ماذا حدث ؟ القوزاقيون قد قتلوا . . هلذا هو ما حدث . .

- اتعنين ليوكا . .

- ابتعد عني . . اننى لا اريد منك شيئا . .

فقال لها عاتبا :

- ماريانكا ! . .

- انك لن تنال منى شيئا ابدا . .

فقال اولئين متوسلا :

- ماريانكا . . لا تتحدثى الى هكذا . .

فصاحت الفتاة وهى تضرب الارض بقدمها !

- ابتعد عني ، اقرب عن وجهى . . اننى اكرهك . .

وادرک اولئين من تعبيرات وجهها المملوء بالكرهية والفضيحة

والاحتقار انه فقد كل امل معها ، وانه ، كما كان يظن من قبل !

لا يعنى فى حياة هذه الفتاة شيئا على الاطلاق .

وبهذا الشعور الثقيل ، اندفع خارجا من الكوخ دون ان يجيب

بشيء .

وبعد عودته الى مسكنه ، رقد فى سريره نحو ساعتين بلا

حركه . ثم نهض ومضى الى قائد وحدته وطلب منه الاذن بالانضمام

الى القوات المقاتلة . وبدون ان يودع احدا . وبعد ان ارسل

فانيوشا « ليسوى » حساب اقامته مع والد ماريانكا استعداد للرحيل

الى القلعة التى تقيم فيها القوات المقاتلة . وكان المعجوز ابروشكا

هو الوحيد الذى جاء لزيارته فى ذلك اليوم : فجلس معه يشرب

الكأس بعد الأخرى حتى وقفت المركبة التي صقلته وحاجاته الى القلعة امام الباب .

وقال اولئين للمجوز ابروشكا :

- كيف حال ليوكا ؟ هل سيشفى من جرحه الخطير ؟

- الله وحده يعلم . ولكن شيخ القرية ارسل يستدعى طبيباً جراحاً من مدينة جرونزى . . آه . . ذكرتنى . . يجب ان امضى الى ماريانكا واطمئنتها عليه . .

ونهض اولئين وصافح المجوز قائلاً :

- حسنا يا ابروشكا . . وداعاً . .

وضغط المجوز على يد اولئين بحرارة وقال :

- وداعاً يا صديقى الشاب . . اتنى احبك . . احبك كابن لى

وداعاً .

ولما اخذ اولئين مفعده فى المركبة . قال ابروشكا :

- اعطنى تذكاراتاً يا عزيزى اولئين ، ان معك بندقتين . .

اعطنى احدهما . . ماذا ستفعل باثنتين ؟

فابتسم اولئين ، وقدم بندقبته للمجوز ، على حين قال فانيوشا
ستنكاراً :

- ان جنح هذا المجوز الخبيث ليس له حدود .

وفى تلك اللحظة خرجت ماريانكا من حظيرة المواشى . والقبتا

لظفرة عابرة على المركبة ، ثم امتدارت وسارت نحو باب كوحها .

وغمز فانيوشا بعينه وقال وهو يصحك بحمافة :

- يا لها من فتاة !

وهتف به اولئين غاضباً :

- هلم امضى . .

وصاح المجوز ابروشكا قائلاً :

- وداعاً يا ولدى . . وداعاً . . اتنى لن أتألك .

ولما تحركت المركبة ، نظر اولئين وراهه ، واذا هو برى المجوز

ابروشكا يتحدث مع ماريانكا فى شأن من شئونه الخاصة كما يبدو

دون ان يحاول هو او الفتاة القاء نظرة واحدة عليه .

الدلالة القوية للطبيعة البشرية

الدار القومية للطباعة والنشر

مركز للثقافة

في العالم العربي
من القاهرة

يصدر عنها

روايات عالمية والكتابات المعاصرة

مناهج مختلفة	من الشرق والغرب	كتب سياسية
كتب قومية	في اهرام العالم	اقتراحيات
اقتراحيات	اقتراحيات للطلاب	اقتراحيات للعمال
دراسات اقتصادية	رسائل سياسية	الجوائز العالمية

مكتبات الدار

نيويورك

لندن

الجزائر

بيروت

طرابلس

بغداد

اخترطوم

الاسكندرية

القاهرة

مجلة الاقلام العربيين

مجلة بنار الوطن

ARAB OBSERVER

ARAB OBSERVATEUR

Le Scribe ARAB REVUE

Le Scribe REVUE ARABE

Le Scribe REVUE ARABE

El Escriba REVISTA ARABE

Des Scribes REVISTA ARABE